جوائز المغرب ومروبكوس للآداب

١٩٥٥

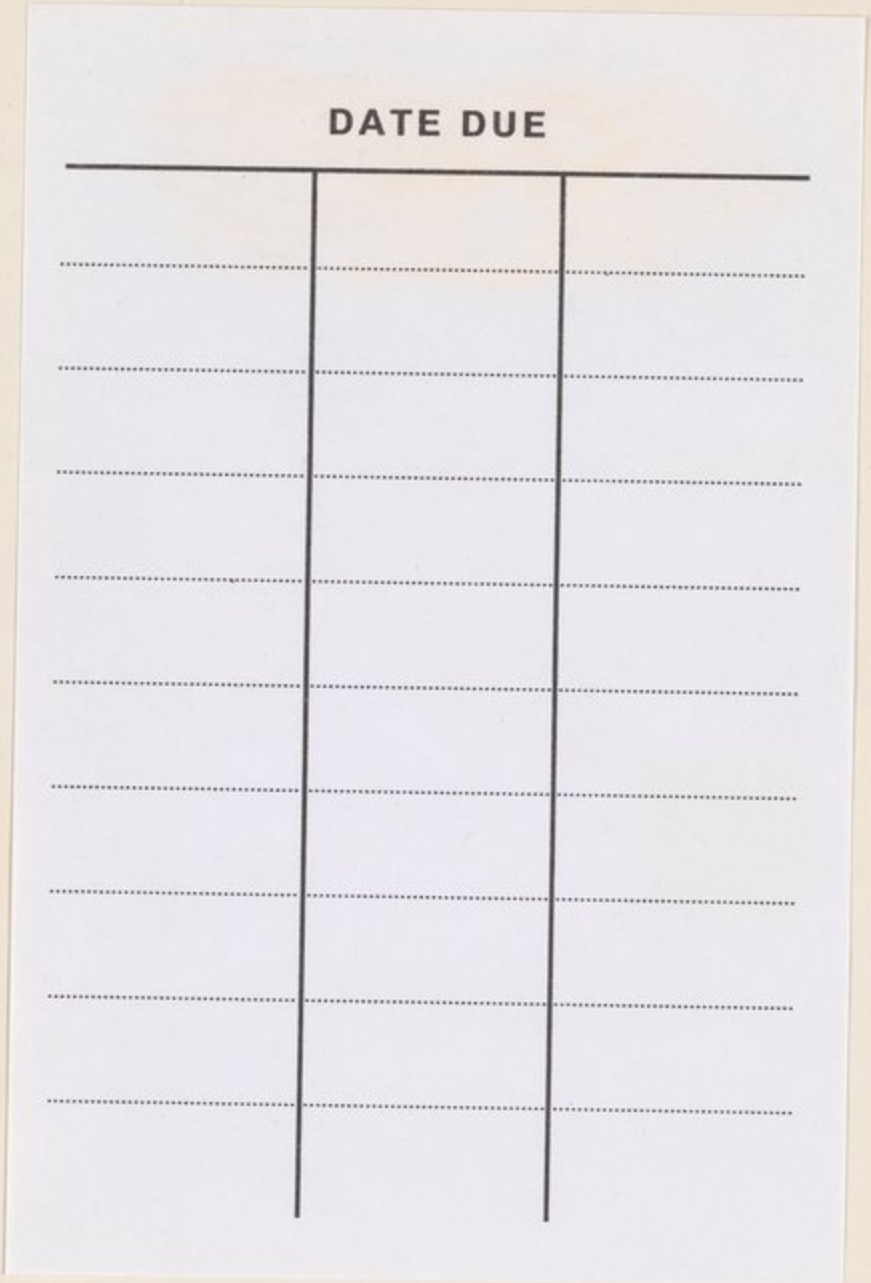
DATE DUE

[redacted]

[redacted]

جوائز المغرب و مرويكوس للآداب.

NOV 21. [illegible]

[redacted]

DEC 21 '59

FEB 2 '60

جوائز

«المغرب» و «مرويكوس»

للآداب سنة ١٣٧٤/١٩٥٥

308.8
M867jA

الاقامة العامة الاسبانية بالمغرب — نيابة التربية والثقافة

جائزة «المغرب» للآداب سنة ١٩٥٥

« فتيان القرية »
شعر للسيد محمد الطنجاوى

« رواد المجهول »
قصة للسيد احمد البقالى

جائزة «مرويكوس» للآداب سنة ١٩٥٥

« أنشودة غابة باب شيكار »
شعر لمكيل فرناندث

« الغلة الاولى »
قصة لمكيل فرناندث

تطوان
معهد مولاى الحسن
١٩٥٥

مطبعة كريمادس ـ شارع محمد الطريس ١٧ ـ تطوان (المغرب الاقصى)

محضر لجنة التحكيم

فى يوم ٢٠ شعبان عام ١٣٧٤ موافق ١٤ ابريل سنة ١٩٥٥ اجتمعت اللجنة المؤلفة لمراجعة الاعمال الادبية المقدمة لاحراز جائزة «المغرب» الشعرية والنثرية لسنة ١٩٥٥

وبعد مراجعة جميع ذلك اتفقت اللجنة على ان تمنح جائزة الشعر للقصيدة التى عنوانها :

«فتيان القرية» بامضاء فتى القرية

وجائزة النثر للقصة التى عنوانها :

«رواد المجهول» بامضاء فائز

وبعد فتح الظرفين المحتويين على الاسم الحقيقى للفائزين تبين ان الفائز بجائزة اشلعر هو

السيد محمد الطنجاوى

والفائز بجائزة الشعر هو

السيد احمد بن عبد السلام البقالى

وحرر فى يوم تاريخه

امضاء اعضاء اللجنة

محمد عزيمان ـ ابراهيم الالغى ـ فرناندو بلديراما ـ محمد بن تاويت

فتيان القرية

✡

للسيد محمد الطنجاوى

١٣٧٤ هـ. ـ ١٩٥٥ م.

محمد بن محمد الطنجاوى

اسمه ومولده :

هو محمد بن الحاج محمد بن يحيى، ولد بتاريخ ١٤ شوال عام ١٣٥٤ هجريه هكذا ـ يقول ـ بخط المرحوم والده فى دفتر الولادة .

حياته :

درج فى عائله متوسطة الحال بين الحاجة والكفاية نزح ابوه مع امه من طنجة فى سنة ١٣٥٢ هجرية الى تطوان، واتخذا تطوان مسكنا لهما ودارا .

ويقول المترجم ان اباه كان رجلا مثاليا لم يعرف فى حياته غير الكفاح من اجل اولاده وتوفير وسائل العيش لهم، وكان حريصا كل الحرص على تعليم اولاده الذكور. وبذلك فقد دخل المترجم من اول الامر الى «المسيد» وحفظ كتاب الله العزيز وله ـ كما يقول ـ من العمر ١٢ سنة، ورغب ابوه ان يتعاطى العلوم فى المعهد الدينى فكان ذلك؛ وابتدأ دراسته من السنة الاولى ثم انتقل وعمره ١٥ سنة الى مدينة فاس للالتحاق بجامعة القرويين، ولكن نفسه ضاقت بذلك الجو فلم يستقم له البقاء غير ثمانية اشهر، رجع بعدها الى مدينة تطوان. ولما قرأ شيئا من النحو والفقه وبعضا من علوم عتيقة ارتاحت نفسه للارتواء من ينبوع الادب، فكان أول كتاب ـ كما يقول ـ فتحه وحده هو كتاب «الاغانى». وبمرور الايام كره جميع العلوم غير الادب، ونشأ عن ذلك خلاف عنيف بينه وبين المرحوم والده؛ اذ كان يريده «فقيها» وهو لا يرتاح لغير الشعر والادب .

ومرت الايام وفارق المعهد سنة ١٩٥٣ وحرص على بعض دروس تفيده كتاريخ الادب العربى والنحو والبلاغة . وواظب على المطالعة وحده رغم ان كثيرا من كتب الادب لم يكن يفهم ما فيها، ـ كما يقول ـ الا انه كان يطالعها ويحاول تفهم ما فيها، ولا يحمل غير الشهادة الابتدائية .

مـؤثـراتـه :

ان الشخـص الوحيـد الـذى كان يزوده بتشجيعه المستمر ويحنو عليه بعطفه وحنانـه هـو امه ـ كمـا يقول ـ وأخيـرا برز فى حياتـه شخص آخر أنار عليه الطريق وبدد غيوم الحيرة مـن سمائه ذلك الشخص هو خطيبته .

والمترجم يميل كثيرا الى الوحدة ففيها يجد ـ كما يقول ـ سلوة النفس وراحة الضمير .. كما تفتنه مناظر الطبيعة وتخلق فى نفسه شعورا عميقا بقوة الحياة

وأخيرا فان المترجم ما زال فى بدايـة الطريق ولم يخط بعد خطـوة واحدة ، واملـه ـ كما يقول ـ عظيم وقوى بالله وبنفسه .

فتيان القرية

١

عند ما تنشر أضواء الصباح ... ويولى الليل مطوي الجناح
وتهب النسمة السكرى على ... شاطىء الوادى ، ومخضر البطاح
والازاهير شذاها عبق ... فى رياض حولها الوادى وشاح
يخرج الفتيان من أهل القرى ... يستبيحون الهوى ، وهو مباح
ترقص الفرحة فى أعماقهم ... تنتشى أرواحهم من غير راح
ويسيرون أناشيد الهوى ... تطرب السمع ، فتهتز الرماح
ويعيد الشادن الشادى لهم ... لحنه الذائب ، والشوق جماح
فيصيحون به : واطربا ... حبذا لحنا على رقص الملاح
ويميل القوم من نشوتهم ... ثم يصحون اذا الشادى استراح
ويقصون أحاديث الصبا ... وأحاديث الصبا ماء قراح

*

«ببنى معدان» فى يوم بديع ... ويفاع الارض يكسوه الربيع
والربى مخضرة ، والثلج فى ... قمة الطود ، وفى السهل القطيع
واليمام الكدر فى أدواحها ... تشرح الشوق لمن لا يستطيع
أوقد الفتيان من حولهم ... حطبا للدفء من برد وجيع
تركوا أغنامهم بين الربى ... والسماء الزرقاء ، والبحر الوديع
والصبا تحمل فى اذيالها ... نسمات العشب ، والورد الصريع
تتمشى موجة تحنو على ... شاطىء ، قام به دوح رفيع
وبه الفتيان فى نشوتهم ... ينفثون الشوق فى لحن بديع
ذكروا «تطوان» فاشتاقوا لها ... ان «تطوان» لها يهفو الجميع
فاستعادوا ذكريات الأمس فى ... حفلات العيد ... والدهر سريع

٢

خرجوا بالأمس فى العيد نفر ... تسعة ، عاشرهم «يحيى» الأبر
طالبين العيش من اعمالهم ... حسبوا العيش بتطوان ازدهر
تركوا ارضهم حين نأوا ... نبت الشوك بها حتى انتشر
انها الام التى تطعمهم ... رزقها الفائض : قمحا وثمر
تركوا القرية والاهل بها ... تركوا اغنامهم حتى الشجر
وبكى « يحيى » ولكن البكا ... أوقد الشوق «ليحيى» فاستعر
إنه يعشق بنتا يا لها ... قمرا فى الارض ، يرعاه القمر
شفه الوجد بها منذ الصبا ... فاستباح الناس تأويل الخبر
وغدا فى القوم مرموقا اذا ... مر فيهم ، شزروه بالنظر
ان من يعشق فيهم فله ... من عيون القوم حدج وشرر

*

انها «رحمة» يبغى وصلها ... ويمنى النفس منها وحدها
بنت عم شرس فى طبعه ... أترى يحبس عنه ظلها .. ؟
جلست يوما الى «يحيى» غدا ... ة أبوها غاب ... ما أسعدها !
بعدا عن أعين القوم الى ... هضبة توفى على روض زها
نظرت ... والحب من أوصافه ... خفقة يهتز منها صدرها
«يابن عمى انت روحى» ... وغدت ... تذرف الدمع .. وولت وجهها
ودنا «يحيى» اليها ماسحا ... دمعها الفائض .. أو لؤلؤها
بين عينيه بريق للهوى ... يغمر الحب جمالا وبها
«بنت عمى .. نحن روحان وقد ... صعد الحب بنا حتى السها
لا تخافين فراقى ، اننى ... مخلص فى الحب حتى المنتهى »

*

«يابن عمى .. لست أخشى .. أبدا ... إن تكن منى قريبا مفردا
غير أنى ـ والهوى ينطقنى ـ ... قد تضايقت بما يروى العدا
حجب النور عليهم ، ويحهم ... جعلوا للحب رجلا ويدا ! !
وأبى يسقونه من سمهم ... كلما راح اليهم واغتدى
قد أتى بالامس من جيراننا ... لابى قوم .. وهم عندى سدى
خطبونى لابن شيخ لهم ... جمع المال ... فأثرى واعتدى
وأبى تعرف حقا أنه ... يعشق المال ... وينسى ما عدا

فانظرن اليوم ما نفعله ... يابن عمى ... قبل أن يدنو المدى
وأنا طوعك ، ما تأمر به ... ستجد منى قبولا ويدا
فتقدم يابن عمى لابى » ... « ومتى . . ؟ »
« عجل وبادره غدا »

*

«وغدا يا «رحم» نأتى خاطبين ... فعسى عمي يحنو ويلين
ومعى الام التى قد جمعت ... مهرك الميمون من كدح السنين
كم تمنت ذلك اليوم الذى ... ناء عنها ... وغدا سوف يحين
ان سلواي بيومى وغدى ... ستنسينى شقائى والشجون
سوف أحيى لغد فى برهة ... ترقص الاحلام فيها والظنون
سوف ألقاك غدا ان يبتسم ... أملى فيك ـ هنا ـ رغم العيون
وإن الحظ جفا ـ لا قدرت ... هذه الاوهام ـ فالوعد يكون
نتلاقى ثم نطفى لوعة ... بسموم اليأس ، واليأس منون
ونذيع الشوق فى الحاننا ... وهى للحب وداع بالانين
أنرى أحلامنا قد حققت ... فى غد..؟ يا ربنا أنت المعين» !!

*

« يا حياتى أنت ... ما أجملك ... يابنة العم وما انفسك
أنت عندى كل شىء ... أنت فى ... مهجة الروح ، فقلبى طوعك
آه ..! لو تدرين ما أحمله ... من عذاب متلف فى بعدك
ان فى عينيك سحرا كامنا ... وسلافا أسكرتنى .. أدركى
بنت عمى كل يوم أصطلى ... من عذاب الحب نارا تدكى
ليس لى بعدك من أحيى له ... سأذوق الموت ... أو أحيى بك
هذه الاغنام ان ساءلتها ... ستقول الحق عن حبى لك
فاسأليها ... واسألى السهل الذى ... أودع الناي به ألحانك
كم تغنيت هنا وحدى اذا ... هتف الشوق بقلبى أشتكى
إن قومى أنكروا الحب علي ... ـ أراهم حرمونى قربك » .. ؟

*

«بنت عمى .. ان حبى قد سما ... وألفت العيش وحدى مسلما
ان تكلمت هنا ، يفهمنى ... كل ما حولى ؛ سهولا وسما
أنفث الشوق بنايى ، فأرى ... طائرا يسألنى مستفهما :

«كيف كان الحب فى اصحابه» ؟ فيقول الناى : شوكا مؤلما
يا شقائى ، من بقومى مثلنا يفهم الحب .. ؟ ولو كان لما
أنكر القوم علينا حبنا وقضوا بالظلم ، «والجهل عمى»
ورنا « يحيى » اليها فرأى لؤلؤا يحدر من جفن همى
واستبانت حيرة فى وجهها شفعتها رجفة بين اللمى
قال «يحيى» وهو مفتون بها ؛ «بنت عمى .. لم تبكين ؟ دما .. !!
أنا أفديك بروحى ..» قالها وارتمت عيناه فيها ... فارتمى

٣

«إنهضى أماه ، فالصبح نداء والدجى بدد فى الافق الضياء
والندى ذوبه لمس ذكاء بشعاع ندمن كف السماء
ان شاة ها هنا قد ولدت فاسعفيها انها تشكو العناء
واحلبى منهًا فطورى ، واتركى جرعة نحفظها حتى الغذاء
ولنا بالرف خبز قد كفى وغدا يرزق ربى من يشاء »
قالت الام له : «أنت الذى قد قضيت الليل تخطو بالفناء !
كلما اغمضت عينى أبتغى هجعة أيقظنى خفق الحذاء »
«رأفة منك وعفوا اننى بت أرعى النجم أشكوه الشقاء
أرقب الصبح بطرف شاخص وفؤاد شفه وجد عياء
كيف لى النوم ..؟ وفكرى قلق وحياتى رهن يومى والقضاء »

*

«ان يومى صبحه قد اشرقا فالرجا واليأس لن يتفقا
سوف أحيى لهنائى ، أو أعش تائها فى الكون ادعى احمقا
فالبسى أماه ! ..» «ما ألبسه؟» إلبسى ثوبا جميلا مشرقا
ضمخى رأسك بالعطر عسى أن يكون اليوم للسعد ارتقى »
هذه أمنيتى أى ولدى ! لن أرى سعيك يوما مخفقا !
غير شىء .. » « ما ترى ؟ » همنى .. لكن ربى أشفقا !
أترى عمك يرضى بعد ما وصل الامر له فاستوثقا ؟
والذى يحمل ضغنا قلبه لا ينام الليل الا قلقا

ثم إن الفقر يا يحيى أذى ... يسلب الحق ويضوى المنطقا
والرجا فى الله يا يحيى اذا ... ضاق بالعبد الفضا واختنقا »

*

«إن يكن عمى أتاه الخبر ... فالعدا من قومنا قد أكثروا
ليس من أمرى سوى الحب، وقد ... عبق المسك به والعنبر
بنت عمى «رحمة» أعشقها ... أحرام ؟ .. يا لقومى فانظروا
سأقول اليوم انى عاشق ... وزواجى من حبيبى أجدر
فتعالى » .. ومضى الابن بها ... خطوات حيث يأوى « عمر »
عم «يحيى» ذلك الضخم الذى ... نار من عينيه شر احمر
يسبق البطن على مقدمه ... إن مشى كالنمر دوما يزأر
يشتم الناس ، ويسطو ظالما ... وهو فى القوم بهذا يفخر!!
بيس ما ضم ... وما ضم سوى ... عرق الكادح ممن سخروا
يستر البغض ليحيى ماكرا ... ويمنى النفس يوما يثأر

*

قالت الام له عند الطريق : ... « قد تذكرت .. بنى ما يليق
حاجة فى الدار قد أنستها » ... « قد بلغنا الدار ، والوقت يضيق »
«هي يا يحيى لها .. مرسلة ... خبئت فى البيت من عهد عتيق»
وانثنت ثم أتت تحملها ... ومضى «يحيى» بهم لا يفيق

*

كانت الشمس لظى فى أفقها ... وجلوس القوم فى الظل يروق
وأتى «يحيى» اليهم بعد ما ... ترك الام .. وفى صوت رفيق :
أنعموا يا قوم .. هل لى بينكم ... مجلس»» ؟ .. قالوا له : «نعم الرفيق
إنك الابن الذى شرفنا ... قد عهدناك بذا النبل حقيق »
ونحت أبصارهم نحو الذى ... ظهر الغيظ بعينيه بريق
« عمر » ذاك الذى أدهشه ... أمر «يحيى» .. فهو فى الغيظ غريق

*

أنصت القوم الى «يحيى» يقول ... «يا بنى قومى.. اسمعوا هذا السؤال
هل عهدتم خصلة مذمومة ... قد جنيت الاثم منها والوبال

هل تضررتم بفعلى مرة ... أو تزيدت بافك فى المقال » ؟
نطقوا بالنفى فى إيمائهم ... وعلى ألسنهم .. لا .. ومحال
« راودوا عمي بالله معى ... أن ينيل القلب أغلى ما ينال
بالتى قد علق القلب بها ... بنت عمى «رحمة» تاج الكمال
إننى راع وهذا شرفى ... أننى فى أصل قومى ذو خصال»
وتمادى «عمر» فى نظرة ... فحص الاوجه فيها ثم قال :
« اسمعوا يا قوم منى اننى ... شاهد صدق «ليحيى» بالفعال
إن يشأ «رحمة» زوجا فانا ... أطلب المهر لها ألف ريال !! »

*

قام «يحيى» حانقا مضطربا ... يقذف الشتم قويا صاخبا
يحبس الدمعة فى احداقه ... ينفث الغيظ شظى ملتهبا

*

«أيريد الهزء منى .. ؟ وأنا ... جئته جادا بقولى راغبا
أيريد المهر ألفا .. ؟ ويله ... ما أراه اليوم الا مذنبا
أيريد الكسب منها ؟ يا له ... ظالما حطم قلبى فى الصبا
قالها والزهو فى الحاظه ... قالها يختال فينا لاعبا

*

ومضى بينهم تتبعه ... نظرات القوم حتى احتجبا
همسوا فى حيرة : «ويح الفتى ... شاط غيظا ، وانثنى مكتئبا
ما ترى يا عمر بعد الذى ... حدث اليوم .. ؟ أتفرى سببا
«عجبا يا قوم منكم ! ! أيرى ... مثله زوجا لبنتى .. !! عجبا !!

٤

صارت الدنيا على «يحيى» ظلام ... وسرى اليأس بقلب مستهام
ينظر الناس الى « يحيى » وقد ... شردت انظاره فرط الغرام
تنزل الدمعة تترى بعدها ... زفرات ، كلهيب وضرام
غاب يومين ، فأضحت أمه ... تقطع الليل أنينا فى الظلام
ومضى شهر ، فقالوا : « قد مضى ... فتية فى القوم ضاقوا بالمقام

قصدوا «تطوان» قالت أمه : « ان يحيى ولدى فيهم غلام
ولدى يحيى ... لمن أبقيتنى فذة فى البيت يبلونى السقام ؛
ولدى ... أبقيت ذكراك هنا شجنا يؤرقنى عند المنام »

*

رفضت « رحمة » من يخطبها بعد «يحيى» من على العهد أقام
بعث الوعد لها «انى هنا أجمع الالف لعمى بالتمام

*

مضت الايام كالبرق سراع تشرق البسمة فيها كالشعاع
ريثما تودى بنا أحداثها انها الاحداث فى الدنيا سفاع
أزف العيد «ويحيى» ها هنا كادح يجهد فى غير انقطاع
يجمع الالف ... فما أهونها فدية للحب ... لو كان يباع
وأتى أصحابه صبحا وقد لبسوا للعيد ... كل ما استطاع
قال «سعد» والاسى يغمره : «أنت يا يحيى هنا رهن الرباع ؟
حفلات العيد قامت ، فانهض معنا نشرى لباسا ومتاع
نحن جئناك فلن تتركنا تسعة مشلولة منا الذراع »
«أنا «يا سعد» مريض ليس لى رغبة « هيا فلن يجدى امتناع»
«فاتركونى طاب يوم بينكم فى الهوى يا اخوتى» «نحن تباع»

٥

ومضوا بين شوارع البلد ان رأوا ظبيا أشاروا ... فشرد
يستميلون ، و «يحيى» شارد بينهم ، فارقت الروح الجسد

*

لذعات الحزن تكوى قلبه ليس يلفى سلوة أى قصد
ضاقت الدنيا به ثم رأى أن «تطوان» بها اليأس استبد

*

« «ببنى معدان» أهلى طالما خر قلبى لرباها وسجد
سأعود اليوم ، عيشى ها هنا قلق حيرنى مما اجد
ايه «تطوان» ... وداعا اننى سأولى وجهتى شطر البلد»

ومضى «يحيى» غداة وحده ... واجف القلب ، ومطوى الكمد
يحمل الالف ، وما يذخره ... لشوار العرس موفور العدد
دخل القرية ليلا عند ما ... طلع البدر على كون رقد

٦

مر بالتلعة فى سفح الجبل ... حيث كانا والمناجاة زجل
فهناك الذكريات الخالدا ... ت تنادى : أين أيام الغزل
رقدت أحلى أمانيه هنا ... عند يوم ودعا فيه الامل
ورنا «يحيا» بعينيه الى ... قرية ترفل فى أبهى الحلل
طلع البدر عليها زاهيا ... ضاحكا ، كالأمس، فى الافق كمل
وبكى شوقا اليها ... يالها ... غيبة طالت ، فأشقاه الملل
وانثنى يمضى الى وجهته ... نافثا أنفاسه حتى ... وصل
وأصاخ السمع : «يالله ما ... هذه الاصوات تعلو فى جذل
أسمع المزهر والطبل فما ... حدث الليلة..؟ عقلى مختبل
ما أرى..؟ تلك شموع خلفها ... هودج..!! «ويحيى» اعمى قد قبل»؟

*

«خبرونى أيها القوم . . أنا ... ذلك البائس منكم ها هنا
أنا يا عمى «يحيى» قادم ... ومعى المهر ... فهيا عندنا
ما لكم يا قوم ؟».. لا يسمعه ... أحد فيهم ... فولى وانثنى
وأتى فيهم فتى مستبشر ... عاد «يحيى» عنده حتى دنا
«هذه «رحمة» يا يحيى وقد ... زفت اليوم ... فأبشر معنا !!»

*

هذه «رحمة»..!! ويلاه.. لمن ... زوجت «رحمة» بعدى ..؟ وأنا ..!!
أيها الناس قفوا ويلكم ... إننى البعل وهذا عهدنا
ويك يا عم ... أتبغى بدلا ... وأنا جئتك بالمهر لنا ؟
أتخون العهد ؟ يا قوم اسمعوا ... ان عمى «عمر» زوجنا »

*

دهش الناس وقالوا : «عجبا ... كيف هذا ..؟ انه حيرنا !!

٧

كانت الشمس على وشك المغيب ... تبعث البسمة من وجه كئيب
ذوبت فى الافق تبرا لامعا ... نشرت أضواؤه فوق الكثيب
وغدا سرب من الطير الى ... دوحة مدت على الارض قضيب
و «أبو قردان» يغدو زمرا ... ناصع الريش بياضا كالحليب
والضفادع تغنت للدجى ... والدجى صمت ، ونجوى ونحيب

*

همس الفتيان فى بعضهم ... « أين «يحيى» ؟ » انه أمر غريب
غاب عنا مدة ... ويح الفتى ... ضل فى الحب ، وأشقاه الحبيب»
قال «سعد» لهم : «لا تعجبوا ... ليس فى الحب ضلال وعجيب
انما «يحيى» فتى ذاق الهوى ... والهوى يا اخوتى يكوى القلوب »
وانبرى «أحمد» فيهم قائلا : ... «ما الهوى «يا سعد ؟ »
«سر .. لا أجيب»

*

وغدوا فى سيرهم نحو الديار ... والاحاديث على «يحيى» حوار
ان «يحيى» غاب عنهم مدة ... يبتغى العيش وحيدا بالقفار
أنس الوحش به فى غربة ... ضل فيها هائما ليل نهار
حطم اليأس به آماله ... وسقاه الحب كأسا من مرار
فاشتكى للناس ما يضمره ... فى الحنايا من حبيب لا يعار
واشتكى للوحش فى خلوتها ... لم يجد فى الحب سلوى واصطبار
كيف يحيى بين قوم أنكروا ... حبه الطاهر ..؟ فاختار الفرار
حطموا قلبا ، وداسوا حرمة ... قد بناها الحب تهدى كالمنار

*

إبتعد بالعيش إن شئت الهنا ... فى قفار بعدت عنها الديار
قدس الله نجد آياته ... وترى للهدى فى القلب انتشار

رواد المجـهـول

✡

للسيد أحمد البقالى
١٣٧٤ هـ. ـ ١٩٥٥ م.

السيد احمد البقالي

سبق للسيد احمد البقالى ان احرز على جائزة «المغرب» النثرية لسنة ١٩٥٣ وقد نشر معهد مولاى الحسن للابحاث اقصوصته «المسعورة» ضمن الكتيب المشتمل على القطع الفائزة سنة ١٥٩٣

وقد اشتمل ذلك الكتيب على ترجمة مختصرة للسيد احمد البقالى هذا نصها :

«ولد السيد احمد البقالى فى اصيلا سنة ١٩٣٠ وتلقى تعليمه الابتدائى بالمدرسة القرءانية هناك، وقد ظهرت مواهبه الشعرية وهو ما يزال تلميذا فى هذه المدرسة فقال قصائد لفتت الانظار، وفى سنة ١٩٤٩ انتقل الى المعهد الثانوى المغربى بتطوان حيث لا يزال يتلقى دراسته الثانوية الى الآن .

والبقالى اديب ناشىء يفيض الشعر على لسانه فى سهولة وتدفق مع جزالة اسلوب ورقة شعور، وقد فاز فى عدة مسابقات شعرية فى الدار البيضاء

والطريف فى امره انه فاز فى هذه المرة بجائزة النثر، وقد نوهت لجنة التحكيم فى نفس الوقت بالقصيدة التى قدمها للمسابقة باسم البحترى مما يدل على قوة استعداده الادبى فى ميدانى الشعر والنثر » .

ويمكننا ان نضيف الى ذلك ان السيد احمد البقالى يتلقى الآن دراسته فى مصر وهو فى نفس الوقت يتابع نشاطه الادبى ويوافى الصحف المغربية ببعض آثاره المبتكرة كما انه على اتصال بالمحافل الادبية المصرية ، وفى كل يوم تزداد مواهبه الادبية تفتحا ونموا الامر الذى يبشر له بمستقبل زاهر .

رواد المجهول

تدفقت جموع المصلين خارجة من باب الجامع الكبير، يلقون بنعالهم على اعتاب الباب، ويخرجون فى زحمة صامتة .. يصافح بعضهم بعضا، ويتحدثون بأصوات خافتة، كأنما لم يبرحوا الجامع بعد ؛ فقد كانت فى نفوسهم بقية من جلال الصلاة .

ولبس احدهم نعله وانحاز الى جانب المسجد، ثم وقف يتسلى بمشاهدة الخارجين.. ثم وقف آخر بعد ما صافحه، ثم ثالث فرابع.. حتى صاروا جماعة بدأوا يتحدثون بصوت مهموس .. وبين الفينة والفينة يلتف أحدهم لينظر الى الخارجين .. يبدو عليهم أنهم ينتظرون احدا

وقام الفقيه «سى الغزوانى» من مصلاه، وطوى لبدته، وتأبطها، وحمل حذاءه بشماله وسبحته بيمينه، وخرج يتهادى فى مشيته المهيبة الجليلة .

وكان شيخا فارع الطول، منتصب القوام، لم تؤثر فى كيانه اثقال السنين التى سلخ، وله عينان رماديتان، يملأهما العناد والاعتزاز .. والايمان وحسن الظن بالله.. وعلى خديه وذقنه لحية قصيرة خفيفة الشعر، وعلى جانب انفه خال فى لون المسك، كان يلبس جلبابا صوفيا فى نقاوة الارز المزعفر، وعمامة بيضاء كأنما غمست فى الجير والنيل .. وفوقية من ذوات الرباط الحريرى يربط العنق على جانب الكتف .

كان يفكر .. رغم ان شفتيه كانتا تتمتمان، واصابعه كانت تحدر حبات السبحة الصدفية فى سرعة وانتظام .. وربما انحنى رجل او غلام على يده يقبلها، فيسحبها منه سحبا خفيفا رفيقا، ويتمتم داعيا له .. ويمضى فى حديثه الى نفسه . لقد سمع هذه الخطبة اكثر من مرتين ، مرة فى كل سنة .. سمعها من الفقيه.. «سى عمر» وقبل ان يتوفاه الله اليه.. «ايه».. مسكين الفقيه «سى عمر» انه كان اصغر منه سنا.. رحمة

الله عليه.. انه يتذكر كل يوم جمعة عند ما يصعد الخطيب الجديد المنبر .. ما اسرع ما تتبدل الاحوال ! والزمان طائر .. والموت غير غافل .. سبحان الله

وعلى عتبة الباب القى نعله، ودس فيه قدمه على مهل ثم خرج وتهيأت الجماعة، وسرت بينها الحركة.. هذا يسوى «قب» جلبابه على رأسه، وذاك يجذب اكمامه، وذاك يمشط بأصابعه لحيته .. ثم اقبلوا عليه، فانهالوا على صدره وكتفيه تقبيلا .. ولثما وتمسحا .. وهو يدعو لهم الله بصوت هامس يسمعونه، وعلى وجهه الجد والعناية .

ولما التفوا حوله فى حلقة هو صدرها، تنحنح وادار رأسه الى الوراء وبصق، ثم التفت اليهم يمسح لحيته بكفه، ويبتسم، وينادى من يعرفهم باسمائهم، ويداعبهم ليسهل لهم فتح الحديث ثم قال : خيرا ان شاء الله .

وتصدى له احدهم قائلا : نعم «أسدى» الغزوانى.. خيرا كل الخير.. لقد جئناك فى امر اولئك العفاريت الذين اقلقوا راحة المدينة .. وجعلوها ميدانا للقتال.. أهلك بعضهم البعض، وأهلكونا معهم.

ـ نعم «أسدى».. أنا ابنى كادوا يفقأون عينه !

ـ وابنى عبد الله كسروا ساقه يا سيدى .

ـ لقد اشركونا فى حرب لا نعرف لها معنى ولا سببا ! رعب وفزع فى الشوارع وحجارة تساقط على البيوت من كل جانب .. فلو رأيت كيف كانت المدينة مساء الاربعاء لقلت «حركة جبالة» او «غزو البورطقيز» ! !

ـ انهم صغار طائشون

ـ لا والله انهم يعرفون الهم «الاكحل» !

وقال الفقيه : « هل ميزتم فيهم احدا من تلاميذى ؟ »

ـ كلهم تقريبا من تلاميذك يا سيدى.. اعرفهم واحدا واحدا

(وعد له عددا من اسمائهم) قال الشيخ : لا تقلقوا .. اطمئنوا .. سيعود الامن الى نصابه بحول الله

وتزاحمت الجماعة مرة اخرى على الفقيه تقبله، وتتمسح به ثم تفرقوا، وسار الفقيه فى طريقه الى بيته يسبح كأن لم يكن شىء

كان سلطان هذا «الفقيه الشيخ» يمتد الى ما وراء جدران مدرسته.. وصولته الروحية تتغلغل فى قلوب كل من عرفوه.. فكانوا لا يعصون له امرا .. ولا يحصون عليه وزرا ! كان شريف النسب من «آل غيلان» اكبر

بيت فى «اصيلا» انتهت اليه رياسة الاسرة ونقابة الشرفاء .. فكان يمثل المحافظ المتطرف أدق تمثيل .. يابى الاختلاط بالاجانب .. ويأباه على كل من يحبه، فهو لم يتخذ لنفسه ـ يوما من الايام ـ رسما «فتوغرافيا».. ولم يخرج قط الى الاحياء الاروبية خارج اسوار المدينة ، ولم يلبس ثيابا لم تكن معروفة قبل الاحتلال .. فهو يستنكر على تلاميذه لعب الكرة ودخول السينما ، كما يستنكر عليهم الاعتداء على اليهود ، ونشر الفزع فى احيائهم ، وعدم احترام كبارهم .. لذلك كان الناس يقدرونه، ويخشون غضبه

بالرغم من صرامته هذه.. فانه كان رحيما شفوقا عطوفا على الايتام والضعفاء والفقراء ؛ فكان يعول من ماله الخاص عددا من الاسر الفقيرة سرا، فكانت القلوب مجمعة على حبه .. وخشيته

ـ ٢ ـ

كان من المنتظر ان تثور المدينة فى ذلك الظرف المعين من الزمن.. لا على حكومة ظالمة تعبث بحقوقها، وتسلبها حريتها.. ولا على حاكم مستهتر، لا يحترم تقاليد البلد، ومعالم الدين .. ولكن على هذه الحرب الداخلية التى نشرت الفزع والرعب فى المدينة بين تلاميذ «المسايد» فلا تخرج امرأة، ولا يفتح دكان.. ولا يمشى احد من الناس فى طريقه آمنا .. كان لابد ان يثور هؤلاء الكبار من اجل السلام الذى لم يتمتعوا به بعد .. فقد سئموا فى مطالع شبابهم الحرب، وويلات الحرب ونكباتها، ولم يدركوا ان هذه الحرب ما كانت الا ثورة على السلام .. السلام الذى ليس معناه فى عقول اولئك الصغار الا الذلة والاستكانة .. انهم سئموا هذا السلام .. ولم يتذوقوا ابدا طعم الحرب .. وقد عزموا ان يتذوقوه.. أحب الكبار أم كرهوا .. وقد ارغم الكبار على ان يتذوقوا طعم الحرب ثانيا .. وان يقبعوا فى بيوتهم، فتساقط عليهم الحجارة من فوقهم، ومن اسفل منهم.. وتكسر عليهم أغلاق دورهم.. وتبعث فى قلوبهم تلك الذكريات الاليمة التى كانت تصحب كل حرب

وفى ظهر ذلك اليوم كان الجامع يزدحم بالتلاميذ من مختلف الاعمار والاجسام .. يجلسون الاربعاء او القرفصاء على مقاعد من خشب مستوية على الارض .. ورؤوس الكبار مغطاة «بأقبابهم».. وهم عكوف على ألواحهم، يضربون على صدورها بقبضاتهم ، أو بأعواد صلبة « حناشات » فتختلط طقطقتها بأصوات القارئين

واختلطت الاصوات تشق ذلك الجو القائظ الذى تزيده انفاس الطلبة المزدحمين قيظا

ودخل الفقيه، فاهتز الجامع وارتج اكبارا للشيخ واجلالا ؟ وعلت اصوات الطلبة تملأ الفضاء مرتلة ما على الواحها من آيات .. بنغمات ذات صبغة تقليدية فى اللحن والتنغيم .. هى هى نفسها منذ الازل .. لم تتغير.. ولم تتبدل .. حتى كانت تبعث الضجر فى النفوس.. والارهاق فى الاعصاب

واخرج الفقيه قدميه من حذائه الاصفر .. وخطا الى حشيته . ووضع لبدته، ثم اخذ يخلع جلبابه الصوفى الزعفرانى .. وهو لا يحول عينيه عن الطلبة الذين كانوا يتحركون فى مقاعدهم الحركات التقليدية الى الامام والوراء ، او الى اليمين والشمال وهم منصرفون عما حولهم الى ما امامهم يرتلون .

ولما اعتدل فى مجلسه بحث عن قضيبه السفرجلى، وضرب به الخشبة امامه، ثم رفع يده يأمر بالسكوت.. وبدأت الاصوات تخفت .. فسكت الاوائل، الصغار القاعدون فى الصفوف الامامية، ولم تلبث عدوى السكوت ان سرت وشاعت فى غيرهم .. وصار ذلك الضجيج - الذى كان يملأ الدنيا - صمتا هادئا.. واحتبست الانفاس، وتعلقت مئات العيون بشفاه الفقيه، وهو ما يزال يقول : « او سسس» واخيرا نطق :

«ليعلم كل من اشترك فى معركة الامس !»

وران السكوت ثانيا .. وتوجهت عيون الصغار تحملق فى ابطال الامس الذين استبد بهم التردد.. واستغرقهم التفكير .. وعاد الفقيه يسأل بصوت مرتفع :

- الم تسمعوا ؟ الم تسمعوا ما قلت ! ؟

وفجأة التفتت الوجوه كلها الى الركن الذى كان يجلس فيه «ولد زهوة» فقد قام من مكانه رافعا أصبعه بكل جرأة : «انا نعم آسى»

وقام ثان الى جانبه، وثالث من ركن آخر .. ثم بدأ الجميع يقومون حتى امتلأ الجامع بالوقوف، فأشار اليهم الفقيه ان اجلسوا.. «تجبيذة من الطرف !» وعند سماع الكلمة، اصفرت الوجوه .. وازرقت الشفاه .. وخفقت القلوب .. وقامت جماعة يعدون فخرجوا حفاة هاربين .. وقام الفقيه فاعترض الباب شارعا عكازته فى يده .. واشار الى اثنين من كبار الطلبة ان يحملوا الاول ، وكان هو «ولد زهوة» وكنا نعرف انه صبور شجاع .. فمرت به المحنة دون ان يفقد اعصابه .. او نسمع له آهة او أنة ! ولما افرجوا عنه قام وعلى شفتيه ابتسامته المعروفة وان كانتا قد كساهما شيء من الشحوب

وحمل ثان .. فثالث .. فرابع .. كلهم كانوا تعرقل ارجلهم ، ويسقطون على الارض كالابقار المعدة للذبح .. ومنهم من يستسلم، فينزل الى الارض طواعية، وبلا مقاومة

واللعنة لمن ينادى «بالعداو» ..! انها كبرت كلمة تخرج من فمه . حتى ولو كان فاقد الوعى.. فانها تضاعف له العذاب، فكأنها «البنزين» لا يزيد النار الا اشتعالا .. لذلك كانت حراما محظورا على التلاميذ، وهم يعرفونها جيدا ؛ فلا تخطر على بالهم حتى وهم فى بوتقة العذاب ! وقد اكتشفوا بالدربة، والمران ان هناك «نقطة ضعف» عند الفقيه الكبير، ووترا حساسا فى نفسه، هو ذكرى والده الكريم «سيدى التاودى» فلا يتوسل احد باسمه الا عفا عنه، وخلى سبيله

ومنهم من يتمرد، ويغرق فى العصيان، ثم يتوسل، ويترامى ويتهالك على قدم الشيخ يقبلها، ويتمسح بها، وهو يدفعها فى وجهه، ويقذف به الى ايدى الزبانية «فيجذبونه» حاقدين عليه، وينهال الفقيه بقضيبه عليه، وهو يصرخ وينادى ويستغيث .. ويشتد عليه الالم فيقذف فى وجه الفقيه شاتما لاعنا .. ويجهر بالشكوى من الظلم .. فلا يزيد الفقيه الا عتوا وعنادا .. وتخمد فيه جذوة المقاومة، فيعود الى الاستعطاف والاسترحام، ثم تطفو الرغوة على شفتيه، ويغيب سواد عينيه فى بياضيهما، فلا يسمع ولا يرى ولا يحس .. لقد غاب عن الوعى ! ويعود الضرب مجهودا باطلا لا فائدة وراءه ، فيأمر الفقيه بتسريح الطالب، فيجر الى مكانه كالبهيمة الميتة ، او كالجيفة يلقى بها فى المزبلة . واشار الفقيه الى آخر فقصده الزبانية، فما كادوا يقتربون منه، حتى قام فى وجوههم، وقذفهم بوابل من الالواح، ثم وثب على المقاعد، وعدا خارجا من الجامع ، وتنحى له

الفقيه عن الباب وتبعه الجماعة فى سرعة القنابل.. وفى الشوارع ابتدأت الحرب رميا بالحجارة بين الطرفين

واشار الفقيه الى آخر، فقاموا اليه واخذوا بذراعيه، وهمس احدهم فى اذنيه : «أحسن يا أخى قم، واصبر.. ولا تجزع فسوف اطلقك فى الوقت المناسب!» ومشى المسكين متثاقلا بينهما، كالمحكوم عليه بالاعدام، وعلى وجهه ابشع ما رسم الله من بؤس، وتعاسة ويأس! حتى لا يكاد يسمع همس رفقيه او يفهمه ! فكأنما هو فى طريقه الى المشنقة .. ولم يلقوا منه مقاومة او عنادا. وضرب الفقيه الضربات الاولى، وكانت قوية قاسية، فتصلبت عضلات وجهه وهو يجاهد مستميتا كى يكتم المه .. وعزم على أن لا يصرخ ولا يبكى. وظل يقاوم حينا.. ولكن العزيمة انهارت ، والمقاومة كلت.. وصوت القضيب الاخرس يتقعقع على اخمصيه فيترك فوقهما لهيبا كلفح النار ؟ تسرى كهرباؤه الى أصول الفخذين .. ضربة وراء ضربة .. لا تترك الفرصة حتى للاستعداد لها .. فكأنها لسع نار متصل

وانفجر باكيا، وطفرت الدموع من عينيه غزارا غسلت سائر وجهه .. وقبض على ساق حامله، وهم بعضها، ولكن ضميره لم يسمح له، فآثر ان يعض تلابيب جلبابه، ويشفى فيها ضغينته، ويرد اليها فعل الآلم فيه.. وفى حركات تموجية كان يحدثها ليخلص قدميه من بين ذراعى حامله، تعرى رأسه .. وكان يكسوه شعر فاحم لماع، صفف بعناية، وشذبه مقص الحلاق بفن وجمال .. وذهنه «بالبريانتين» «والكولونيا» .. ووقعت عين الفقيه على رأس «حسن» العارى، فجحظت عيناه، وفغر فاه، وجمدت يمينه على قضيبه فى الهواء وكفت عن الحركة .. ومرت ثانية ، ونصف اخرى قبل ان ينتبه الفقيه لحاله ، ويعرف الوضعية التى تركته المفاجأة عليها .. واصطرعت فى مخيلته الافكار، وتراكضت فى ذهنه الخيالات الحمراء دون ان يستطيع لها تفسيرا او فهما .. ولم يزد على ان اشار الى الطالب ان يفرج عنه، وهو يستعيذ بالله ويستغفره .. ثم اشار الى «حسن» ان يخرج من الجامع .

وقال وهو يحرك رأسه فى عجب ما ظنناه سينقضى .. ولم ينقض ابدا ! وانفرجت شفتاه عن كلمات اخذت ترتفع قليلا

ـ «ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»! والله ما ظننت ان بين تلاميذى يهودا ونصارى ابدا ؟ «رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى».. اننى وضعت كلامك الطاهر فى صدور نجسة.. اللهم لا تواخذنى بما نسيت او اخطأت ..

كان كلامه خافتا رهيبا ككلام السحرة او الرهبان، ثم نظر يمينا وشمالا، وقام من مقعده فى ريبة وتردد.. وسعى بين صفوف التلاميذ يرفع بقضيبه الاغطية عن رؤوسهم .. ويشير الى كل من فى رأسه شعر ان يبرح الجامع قائلا :

اخرج يا بنى .. انك الآن نجس قذر يجب ان تتطهر ، وتستعد لحمل القرآن

ثم صرخ بصوت جنونى:

لن أقبل عندى يهودا، ولا نصارى.. فقد بنيت المدرسة للمسلمين، للمسلمين فقط ؟ ولن يرجع اليها احد فى رأسه شعر ابدا .. لن اقبله ولو حدث ما حدث ..

واخذ الطلبة يتسللون واحدا اثر واحد .. يلتقطون نعالهم ويخرجون على استحياء .. وخلا نصف الجامع.. والفقيه ما يزال مصدوما من فعل المفاجأة .. لقد كانت قاسية على نفسه .. فكان كمن لا يصدق عينيه ، ويتمنى انه لو كان فى حلم .. !

— ٤ —

خرج المطرودون من المدرسة واحدا بعد واحد .. وكانوا ينزلون الى باب البحر؛ حتى لا يراهم احد فيخبر آباءهم بأنهم كانوا فى «وقت الجامع» خارج المدرسة. ولما اجتمعوا كلهم، نزلوا الى البحر واخذوا يتمشون على الساحل الرملى، ويتحدثون فى موضوعهم الخطير ...

مشوا صامتين مدة ، وفتح احدهم الحديث بقوله :

ماذا انتم فاعلون، وقال السيد «الهادى» وكان اكبرهم سنا :

رأيى وقد فكرت وقدرت ان نتدارك المشكل بالحل قبل ان يعسر ذلك .

— وكيف ترى الحل ؟

— نجامل الفقيه فنحلق رؤوسنا، ونعود الى الجامع فنعرضها عليه حتى يأمن اننا تحت طاعته، وبعدها نفعل ما نشاء وراء ظهره !

— كلا لا نريد ان نداري او نرائى ! لماذا لا نستمسك برأينا فنجعله امام الامر الواقع .. ولن يستطيع ان يطردنا جميعا ..

ـ بل انه يستطيع ! يا اخى اننا قلة.. وسيغلب علينا بآبائنا واقاربنا .. فنرغم على الرضوخ، ونكره على الاذعان ..

ـ أبى أنا لا يعرف ان لى شعرا

ـ وانا ايضا ..

ـ حتى انا ..

ـ كلنا كذلك .. وستكون الصدمة مزدوجة، والهجوم من جهتين..

وقال حسن :

ـ اما انا فلن اقص شعرى او يقطعوا رقبتى معه !

ـ وانا معك يا حسن !

ـ والله انا اكره الرؤوس قرعاء عارية كالبصل ..

ـ يا اخوانى يجب ان نكون واقعيين .. هذا شىء لم يتعوده اهلنا وهو خروج صريح عن تقاليدهم العريقة التى هم احرص عليها منهم على الدين ! يجب ان نخفف من وقع المفاجأة .. نحلق اليوم .. وهم لا محالة سيعلمون ذلك، فتكون هذه مقدمة لما سوف يرونه بعدها !

ـ كلام معقول

قال «حسن» :

ـ لا والله! لا احب التلصص .. يجب ان نضرب الضربة قوية شديدة لتكون الترعة اوسع، والفتق صعبا على الراتق ! وانا ادعوكم ان تجهروا بعصيان كل امر رجعى يهيب بنا ان نذهب فى ركب العائدين الى الوراء !

«وحسن» هذا، شاب فى السابعة عشرة ؛ قوى البنية، رجل فى كل مظاهره، الا اذا استثنينا ما فى عينيه من سحر .. وهو ذكى مثقف عصبى المزاج دامغ الحجة، ناصع الرأى، لا يرضى الهزيمة ولا يقر انصاف الحلول .. كان رفاقه يسمونه «التونية» تشبيها له بالارضة ـ العثة التى تنخر الورق ـ لكثرة ما يقرأ من الكتب .. وكان على ما معه من ثقافة وعقل عنيدا صلب العود، صعب المراس يستسلم للبرهان الساطع، ويعسر على المتساهل ان يقنعه !

وتعارض الرأيان وتفرقت الجماعة على غير اتفاق !

وكانت الفترة الرهيبة ـ الهدوء الذى ينذر بالعاصفة، وقر فى اذهان الجميع ان ليس هناك حل وسط، وانهم اما ان يكونوا الى اقصى اليمين او الى اقصى اليسار، وفى الطرف الاول هزيمة وهو ما تأباه عليهم الرجولة، وفى الطرف الثانى محنة وجهاد وهو ما لا يصبرون عليه طويلا

ولن يعرفوا لمن سيكتب النصر من بعد . واختارت جماعة الحل الاول فرضيت بالهزيمة، وحلقوا شعورهم ودخلوا الجامع، فعروا رؤوسهم للفقيه، فضحك، وضحك التلاميذ، وضحكوا هم مع الضاحكين. ومضى امرهم بسلام .

واختارت جماعة ان تنزل الى الميدان، وتصدع بالعصيان، حتى تبرهن لاولئك العجزة الفاشلين على صواب ما ذهبت اليه، وتفتح لهم الباب على مصراعيه، وتدعوهم الى الدخول بسلام

وصدقوا الله ما عاهدوه عليه !

ومر يومان على الفقيه كان يدخل فيهما على التلاميذ ساهما واجما، ثم يقبع فى مجلسه محطما يائسا، لا يكلم احدا، ولا ينتهر احدا، ولا ينهى ولا يأمر، ويتساهل فى كل شىء، حتى لم يعد لشخصه الحالى وجود ! ولم تعد تسيطر على زمام «رعيته» الا هيبته القديمة

كان حائرا بين متناقضتين شديدى التناقض والتعارض، ولم يكن يستطيع ان يخلق لهما حلا؛ بل كان ينتظره من السماء ! كما اعتاد ان يفعل فى كل جليل من اعماله. وان له لثقة بالله، فما قضى امرا ذا بال الا بعد «استخارة» واستلهام وانه اليوم ليستخير الله فى كل ليلة، ويستيقظ مع الفجر، ينبش صور احلامه، ويستعرض شرائطها، فلا يجد فيها ما ينشده، ولا يعثر فى ثناياها على ما يستعين به على الحل.. أيكون قد ظلم؟ ـ معاذ الله ! انه لو عرض الامر عليه الآن، لما تردد فى ان يفعل ما فعل من قبل ! ان الرسول صلوات الله عليه وسلامه يقول : «من تشبه بقوم فهو منهم» وهؤلاء تشبهوا باليهود والنصارى ؛ فهم اذن منهم يهود ، ونصارى ! وهل اظلم اليهود والنصارى اذا طردتهم من بيت الله ؟ بيته الذى أمر ألا يدخله الا المطهرون، وحرمتهم من كلامه الذى امر الا يمسه النجسون؟ اللهم انى على حق؛ لم اظلم احدا. فأين الحل الذى وعدتنى يا مولاى ! ؟ لقد كدت أيأس !

ـ ٥ ـ

كان حسن يخرج من بيته، ويعود فى مواعده ـ يوم ان كان يذهب الى المدرسة ـ حتى لا يفطن اهله الى ما آل اليه امره، وحتى لا يعلم ابوه بأنه خاصم الفقيه، وطرد، ولم يتنازل عند رغبة الفقيه فيحلق شعره. وابوه

لا يعلم ان فـى رأسه شعرا، وهو رجـل جلف جاهـل ليس له من العلم والمعرفة ما يهـون هذه التفاهات فـى عينيه، او يخفف وقعها فى نفسه والمظهر عنده كل شىء ! فربما يأتى اليه اى سفاح مجرم يلبس عمامة وسبحة، ويسدل على صدره مخلاة من الشعر؛ فيرفعه على رأسه، ويصبغ عليه من مظاهر الاجلال والاكبار ما ليس خليقا به الا نبى او اله؟ فكيف يحتمل رؤية ابنه وهو متشبه باليهود والنصارى؟ وكان ما لابد ان يكون بعد ثلاثة ايام من غضبة الفقيه، وكان قد رجع فيها الى المدرسة من رجع ، متنازلا عند رغبة الفقيه ، وبقى من بقى مستمسكا بكلمته الاولى

كانت الايام الثلاثة «املاء» من الفقيه، وامهالا لمن يريدون التوبة ، اما وقد تاب من تـاب، وتمرد من تمرد، فيجـب ان يعلنهـا عليهم حربا واسعة على كـل من ركـب رأسه، ورفض ان يستجيب لدعوته ويأتمر بأمـره !

وذات مساء عـاد «حسن» الى بيته، عن اجتماع كان يعقده كل يوم مع زملائه من المتمردين على ساحل البحر، فى برج سفينة معطوبة، عاد الى بيته، ووضعت له امه المائدة امامه ؛ فقد كان يتغذى بعد العصـر ـ حين ينطلق من المدرسة ـ ودخل عليه ابوه وهو يأكل، فسأله: «اين كنت يا حسن؟» فخفق قلبه ووقفت اللقمة فى حلقه، وحـاول ان يتكلم يكتم ذعره ، وهو يجيب متكلفا عدم المبالاة : «فى المدرسة»

ـ صحيح ؟

ـ لماذا تسألنى هكذا ؟

ـ اريد ان اعرف فقط !

ـ لا ! لم اذهب الى المدرسة ؟

ـ ولماذا ؟

ـ لان الفقيه طردنى

ـ ولمه ؟

ـ طردنى مع جماعة من الطلبة لقيامنا بالحرب يوم الخميس ضد «حومة برج الغولة»

ـ لا لا يا بنى ليس هذا هو السبب الحقيقى .

ـ فما هو ؟ ووجم حسن؛ كأنما صب عليه الجمد! ومكث حائرا لا يدرى ما سوف ويفعل به ابوه، وقد عرف كل شىء الآن فى بؤبؤ عين الخطر، فهو يعرف اباه جيدا وليس بالهين عليه ان يغفر له هذه الخطيئة، فقد كبرت الزلة، وستكبر العقوبة. قال ابوه: «لماذا تكذب على يا بنى؟

لماذا تخوننى وتخدعنى؟ امضى كل يوم اكد، واعرق، واحرق اعصابى ؛ لاوفر لك الراحة، وخلو البال، حتى تتفرغ بكليتك الى القرآن و «العلم» فتجازينى على كل هذا بالخديعة والمكر ! تخرج وتعود فى مواعيد «الجامع» ، وانت تذهب الى البحر ؛ لتجتمع مع اولئك الصعاليك الذين لا دين لهم ولا ضمير!» ثم صاح فيه: «عر رأسك!» وبقى حسن جامدا فى مكانه ينظر الى ابيه مبهورا مبهوتا، وقد اذهله امره، وصرخ ابوه وهو يهجم عليه : «اتجرأ ان تجاهرنى بالعصيان ايها الفاجر الجحود ! »

ثم ضرب المائدة التى أمامه برجله، فانكسر ما كان عليها من اطباق وآنية، ومد يده الى «قبه» فتناوله، ولواه على يده، وازال عن الرأس الطاقية، فظهر الشعر تحتها ! وصرخ الرجل فى ابنه، وهو يجره من «قبه» :

ـ ايها الفاسق اللعين ! الى هذا الحد تجاهر ربك بالفسوق والعصيان؟! وتتشبه بالكفار؟! أف لك من ولد عاق تخادعنى، وانا لا اعرف ان نصرانيا يعيش فى بيتى يؤاكلنى على مائدتى ايها المجرم، ماذا تقول لله غدا ؟ ماذا، يوم يقذف بك فى الجحيم؟ لقد خاب املى فيك، كنت اتمنى ان تشفع لى عند الله، بما يملأ صدرك من فرقان، اما الآن فمن سيشفع لك انت ؟ من سيحميك من غضب الله ؟ يا عدو الله !

واصفر وجه «حسن» وامتقع، حتى كأنما صب عليه الزعفران واسودت محاجره، واحمرت عيناه، وابوه يجره من «قبه» يرفسه ويلكمه، ويصفعه، وهو خارج به من الغرفة الى وسط الدار . وهناك انهال عليه بعصى غليظة، كانت أم «حسن» تحاول ان تختطفها منه، وهو يهددها ان يشركها معه ان هى تدخلت لحمايته، وهى تصيح به : «ابنك، ابنك يا رجل! ان العصا سوف تكسر فيه ضلعا، او تفقأ له عينا فيعيب، اضربه بالحبل، ودع العصا! » واجابها وهو مستمر فى ضربه :

ـ ليمت وليعب، فلست عليه بحريص ! انى اتمنى لو لم يكن لى ولد، لقد خسرته الى الابد ! الى الابد !

وزاده الالم قسوة عليه، حتى تغلبت عليه زوجته فى النهاية فاختطفت منه العصا، وتركته يهذر كالبعير، فلوى «قب» الفتى على يده، ومشى به يسحبه على الارض، والفتى يتنفس بجهد جهيد، فقد التوى «القب» على عنقه، وطوقه تطويقا محكما

ودخل به ابوه المطبخ، وكان هناك مجمر عليه طاجن يغلى فدفع الطاجن عن المجمر، والقاه جانبا، فتكسر، وساح مرقه على الارض، واطبق

على عنق ابنه، ثم دس رأسه فى المجمر الملتهب فاشتعل شعره، فاضطرب جسم الفتى تحت ضغط ابيه، ولذع النار، فصرخ صراخا مفزعا مرعبا واهتز كيانه من فظاعة الجريمة التى يرتكبها فيه ابوه، ودخلت امه واخواته، فاستخلصنه من يد ابيه، وهو فاقد الوعى مخدر الاحساس . وحملنه بين ايديهن حتى وضعنه فى فراشه، وجئن بالزيت، فدهنت له له امه الحروق التى كانت بقعا سوداء منتفخة. وقد حصدت النار كل ما كان يكسوها من شعر، ووضعن له على رأسه ضمادا وقطنا ، وعصبنه، وهو لا يدرى ما يفعل به؛ فقد كان غائبا عن الوجود فى اغماء عميق

وقضى تلك الليلة يهذى ورعدة الحمى تهزه هزا عنيفا، وامه الى جانبه تبكى، واخواته يلقين عليه البطانيات واللحافات الثقيلة ، وحتى الزرابى ؛ لعل ذلك يدفئه ! وكلهن متأثرات قد جفت سواقى الدمع على وجناتهن فتركت مساربها فوقها

وبقى «حسن» كذلك اسبوعا كاملا يعانى فى جمجمته آلاما مبرحة ، وكانت امه تبدل له الضمادات كل يوم، وتدهن له بالبلسم تلك الشقوق العميقة الحمراء ، التى حفرتها النار فى جلد رأسه

كانت لياليه احلاما هائلة، يستيقظ على اثرها مذعورا، فيترك فراشه ويعدو خارجا من الدار، وتدركه امه، وتعيده الى فراشه، وهى تلاطفه وتنبهه من كابوسه، والدموع ملء جفونها !

- ٦ -

وفى صباح يوم السبت انتبه «حسن» على ركلة حادة فى بطنه ، وكان قد نقه قليلا - فلما فتح عينه، رأى أباه واقفا الى جانب رأسه، يقول له : «قم الى الجامع، قم ايها الغشاش ! ايها الكذات المخادع ! قم والا فرثت بطن امك ! »

وقام «حسن» من فراشه مرتعشا مضطرب الاعصاب، لم يكتمل بعد صحوه، فصفعه ابوه على خده، ودفع بقبضته فى صدره، ثم ألبس جلابته فتناول أبوه «قبه» فلواه على يده، وخرج به يجره الى خارج الدار وامه تتبعه ذاهلة، وهو يصرخ شاتما لاعنا مستهزئا ! «تبارك الله ! تبارك الله ! اعجبتك العطلة ؟ آه ! ايها القدر اللئيم ! اجر، اسرع والا كسرت ساقك ايها الاعمى ! »

ولقيه رجل يعرفه، فقال له : «رفقا بابنك يا رجل ! » ولكنه وقف يقص عليه قصته، ويتخللها بالصفع، والرفص ، والبصق والشتم ، و «حسن» صابر محتسب يدعو الله فى سره، ويتلو آيات من القرآن

ولقى ابوه عددا من اصحابه ومعارفه كلهم كان شأنهم معه شأن الاول. فما وصل المسكين الى «الجامع» حتى كان قد مات الف مرة من الذل والهوان، وحتى كانت كرامته وقواه المعنوية قد انهارت امام هذا التشهير السافل وهذه المعاملة الوحشية

ولما بلغ به باب «الجامع» دخل على الفقيه، وقبل ان يقول شيئا لوى «قب» جلبابه ليا محكما على يده، ومد رجله فعرقل الفتى، والقاه على الارض، ثم اطبق بذراعيه على ساقيه وتوجه بقدميه للفقيه قائلا :

«القضيب القضيب «أسدى» الفقيه، القضيب خرج من الجنة، اقتل وانا ادفن»! وحمل الفقيه القضيب، وانهال على قدمى «حسن» ضربا . وكلما انتهى صاح فيه الرجل :

ـ زده يا سيدى زده، لا، لا؛ ليس التأديب هكذا يا سيدى الغزوانى! انك تظلمنى ! بهذا كسبوا الجرأة عليك؛ انك لين رقيق القلب، وهؤلاء مجرمون غلاظ الاكباد، اضرب! اضرب بشدة والا فدع لى القضيب لا ريك كيف تضرب ! »

وكان الفقيه يضرب مشفقا على «حسن» ؛ فقد علم بكل ما اصابه ، فلم يرد ان يضاعف عليه المحنة فكف عن الضرب، وقال لابيه :

ـ دعه! دعه الآن، وسر مطمئنا فسوف يكون لك ما تريد بعد ان انتهى من الاملاء

وخرج الرجل بعد خطبة طويلة، ذكر فيها كل الاعمال الجليلة التى قام بها ضد ابنه، ثم توجه اليه فانهال عليه شتما ولطما، وبصقا فى وجهه، وانثنى خارجا، وهو ما يزال راغيا مزبدا، كالبعير المهتاج .

ـ ٧ ـ

ولم يعد «حسن» فى ظهر ذلك اليوم الى البيت، ولا الى المدرسة !

والى اين ذهب ؟ ! ـ ذلك ما لا يعرفه احد، لقد اختفى بعد خروجه من المدرسة مباشرة كما تختفى الحصاة قذف بها فى الماء الضحل !

وجاء ابوه يبحث عنه فى المدرسة فلم يجده

وذهبت امه الى بيوت كل من تعرف ان لابنها بهم علاقة، فلم تهتد الى شيء .

وانتهى اليوم، وغربت شمسه، وعادت الام الى البيت كاسفة البال، مسلوبة الصواب، والتفت حواليها بناتها يعزينها، ويكفكفن دموعها، فلا يزدن بذلك فى نفسها الا حسرة وشجى، فتشرق بالدموع، وتنخرط فى نسيج يمزق الافئدة ويثير الاشجان، وسرت العدوى الى البنات، فأخذن فى النحيب وفاضت اعينهن وهن يشهقن صائحات، وغامت على البيت سحابة ثقيلة من الاسى والضجر

وعاد الاب ساخطا يكاد يمزقه الغيظ. ولما وقف على عتبة الغرفة ، لاحظ ان بناته يبكين، فلم يطق ذلك وصرخ فى وجوههن كالوحش :

ـ او تبكين ؟ من احق بالبكاء ! ؟ يا لسخرية الزمن ! ليبك هو على نفسه ! فلا اريد ان اسمع مثل هذا السخف !

ثم انصرف الى غرفته يهمهم ويدمدم وبات ليلته يقرع اسنانه ! ويتأوه من الغيظ ؛ فقد كان يظن ان ما صنعه بحسن كفيل ان يعيده الى حظيرة الطاعة، ويثنى كل عزمه عن محاولات الخلاف او العصيان؛ ولكن النتيجة جاءت عكس ما كان يتصور. وها «حسن» يفر مرة اخرى من «الجامع» ولا يعود الى البيت. اين يكون؟ اين ذهب؟ ماذا سولت له نفسه ان يفعل ؟

ـ ٨ ـ

وانتبه على أذان الفجر الاول، فنهض، وتوضأ، وخرج الى المسجد و (مؤنس الغرباء) ما يزال يترنم على الصومعة بصوت عذب شجى، يثلج الصدر، ويبعث الرهبة فى النفس، والنشوة فى الروح

كان يمشى بين الزقاق الخافتة الاضواء ، والليل صامت من حوله، والنسمات الباردة تصافح وجهه، وتتخلل لحيته المبللة وشفتاه تتحركان

وبلغ الجامع، والمؤذن يقول :

«الصلاة خير من النوم، اصبح ولله الحمد على دوام عزه وفضله »

وصلى مع المصلين، وقرأ الحزب. وحينما هم بالقيام من الحلقة جذبه من ثيابه رفيق له، فاجلسه، وبدأ يحدثه :

ـ ألم يقل «حسن» شيئا عن ابن الوافى ؟

ـ لا لماذا ؟

ـ لقد هرب من البيت منذ ثلاثة ايـام، ويقولون انه فى «طنجـة»

ـ واظن ان «حسن» قد تبعه

ـ كيف كيف ؟ ! ألم يعد الى «الجامع» ؟

ـ عاد صباح البارحة؛ اخذته انا اليه، ولما انطلقوا لم يعد هو الى البيت، ولا الى «الجامع» .

ـ مصيبة! مصيبة والله انها مصيبة! ماذا اصاب هؤلاء العيال ؟ ! وفى يوم واحد ! انها موجة من الجنون ولا شك ! ربما ذهبت غدا الـى طنجة لابحث عنه، فان امه لا يرقأ لها جفن !

ـ سوف يلقى فى روعه انك فى حاجة اليه، وانك لن تعيش بدونه، فيدل عليك، ويركب قفاك! اما انا فلن افعل! لن افعل ولو غاب الى الابد!

والتمس نعليه، ونهض وهو يقلب حبات سبحته ويتمتم بالتسبيح

ـ صباح الخير

ـ صباح الخير

(كان المؤذن يطفىء الانوار، استعدادا لاقفال المسجد) والقى الرجل حذاءه على العتبة، فأحدث فى سكون الفجر ضوضاء، ما لبث الصمت ان بلعهـا .

وكان الصبح قد انبلج، فلم يعد الرجل الى بيته ؛ وانما ذهب الـى الشرفـات المطلة علـى البحر، وهو يقرأ المعقبات بصوت يرفعه مرة، ويكتمه اخـرى حسب انفاسه، وكانت شتى الاحاسيس تملأ مشاعره ، وشتى الافكار تملأ رأسه الملفوف فى عمامته، تنم عنها عيناه الجامدتان وما بين حاجبيه من قطوب !

ووقف ينظـر الى البحر، يصقل بعينيه سيف الافق البعيد؛ حيث يلتقى الماء بالسماء ، وحيث تلك الغيوم المنقوشة، كالقطن المحلوج او المتمخضة كرغوة اللبـن الصافـى، وكانت السماء تزرق رويدا رويدا، والنجوم تختفى تحت اشعـة الفجر فجأة؛ كما تظهر عند الغروب. واخذ البحر يستيقظ من سباته، وبدأ سطحه الصقيل يتجعد ويتموج، والامواج تنبسط على الساحل ثم تتراجع. وغرق الرجل فى تأملات عميقة الاغوار، ومشاعر متشابهة متناقضة لم يكن يفهم لهـا معنى، ولاكنها؛ فقـد كان مصفح الشعور ببلادة «العـادة» الرتيبة، يفقده الاعجاب بجمـال الحيـاة

المتجددة ، وتوصد عقله امام كل رائع فريد . وتعجب من نفسه التى تفتحت لهذا الجمال، والتى لم تكن تستشف ما وراء هذه المناظر من معان.

واندهش حين علم انه كان غافلا عن كل هذا، وانه كان ينظر اليه بسطحية لا تنفذ الى الحقائق، التى من اجلها خلق الله الكون. وعاهد نفسه ان يدمن الزيارة لهذا المكان

- ٩ -

وعاد الى بيته مع الضحى، فوجد هناك دعوة من المراقبة ليحضر اليها فى تمام الساعة العاشرة

وذهب فى الموعد واستأذن على المراقب، ودخل عليه، فحياه هذا بلطف وسأله عن ابنه اين هو؟ فأجابه بأنه لا يعلم. ولم يلبث المراقب ان دعا باحضار الفتى، فدخل يحرسه حارس من حراس الحدود، ونظر الى ابيه، فارتسم الذعر على وجهه، ثم تبدل الذعر انهيارا، فاصفرارا على شفتيه ووجنتيه، وسحابة على عينيه .

قال المراقب :

ـ لقد وجدناه على الحدود داخلا الى طنجة

ـ ولم لم تذهبوا به الى السجن ؟

ودهش المراقب وقال فى عتاب :

يا سى الحاج اننا لا نعامل اولاد البلد، وابناء الاعيان بهذه المعاملة. اننا نحترم شعور الولد وابيه، ماذا يكون لو اننا حبسنا هذا الفتى الحيى الذى لم يعرف الاجرام ـ بين جماعة من اللصوص والمجرمين ؟ انه لاشك سيتشبع بأخلاقهم فنشقى به نحن بعد خروجه، ونضيف للمجتمع مجرما هو فى غنى عنه، ثم ان فتى مثل ابنك، هو اقرب الى الصلاح والخير، منه الى الفساد والشر. خذه، واعن به وانصحه الا يعيدها مرة اخرى ! فاذا كان يريد طنجة، فليس عليه الا ان يأتى الي، فأعطيه جوازا يضمن له الوصول بسلامة الله !

فقام الرجل ومد يده الى المراقب يصافحه، وقال : «اوصيك يا سيدى الا تسمح له بأى جواز سفر، فاذا اردت انا له ذلك فسوف آتى اليه بنفسى، عم صباحا

ـ فى امان الله

وقبض الاب على كوع ابنه بقبضة من حديد، وخرج به من المراقبة دون ان ينبس بكلمة. كان حسن لا يفهم شيئا مما يدور حوله؛ لقد اصبح كمن فقد كل شيء ؛ فشل فى فرصة العمر ، وخسر الجولة الاخيرة فى مضمار الحيـاة، وسار كأنمـا يخبط فى حلم بين الحقيقة والخيال، ولم ينتبه من استغراقه الا على رنين مطرقة، وسلسلة من حديد

كان الحداد يثبت حلقاتها فى رجليه ويديـه وعنقه ، فقد دخل به ابوه دكان هذا الحداد وكلمه فى الامر، وكانت عند الحداد سلاسل مـن تلك التى تلقى فى اعناق المجانين يربطون بها فى «سيدى العربى غيلان» سلاسل غليظـة ثقيلـة من النوع التى تقيد به الفيلة، وصنع لها الحداد خمسة اطواق وضع اثنين فى يدى «حسن» وآخرين فى رجليه، والخامس فى عنقه، ونقده ابوه الثمن وخرج به من الفندق، وخرج «حسن» يرسف فى تلك الحبال الحديدية التى تطبق عليه فى حقد وكراهية، يمشى فيها مثقلا، فيكبـو حتى يكاد يقـع علـى وجهـه، ويحمل السلسلة فى يديه ليستطيع الخطو، وهى ترن علـى الارض المرصوفـة بالحجارة، فتنبه الناس الى قرقعتها ويقفون على جوانب الطريـق ينظرون وفـى عيونهم الرحمة والرثاء ، وعلى اوجه النسوة اللهفة والرجاء ، وفى مآقى الفتيات الدموع والحسرات. كان منظر الفتى فى تلك الاغلال مؤثرا حتى ان عددا كبيرا من الذين لا يعرفـون الرجـل تقدموا اليه يتوسلون، ويشفعون فى هذا الغصن الناضر، الـذى كاد يذبله العذاب ! حتـى جماعة من اليهود حرك المنظر عواطفهم، فتقدموا الى هذا الاب الذى كان يقابل كل ذلـك بالنظر الشزر، والصمت المثير للحنق !

وسارت خلفـه جماعـة من الصغار والصبيان اخذوا بغرابة المنظر وقسوته، فساروا خلف الرجل وفتاه، لعلهم ينتهون الى شيء يعللون بـه هذه الوحشية، وهذه القسوة. ولم يصلوا الى شيء ؛ فقد وصل الرجل الى بيته، وادخل ابنه، واوصد الباب وراءه

وفى صمت رهيب لقيت الام ابنها، والاخوات اخاهن ورأين ما حل به، فلم يجرؤن علـى الاقتـراب منه، واقتاده ابوه الى غرفة فى السطح فصعد «حسن» السلم، وفى الدرجة الخامسة تكبكب حتى كاد يصل الى الارض لولا ان لقيه ابـوه بركبتـه، واعـاده الى الوقوف، ثم دفعه امامه وتكبكب مرة اخرى وهو يجتاز درجات المنعطف ، وانكب على وجهه ،

واصابت احدى الدرج جبينه فانتشر الدم حاميا على وجهه ، حتى صار منظره مخيفا رهيبا !

وبعد فترة سمعت امه وقع حبل غليظ على ظهر ابنها وانينا مزعجا، ثم صراخا حادا يمتزج بقرقعة السلاسل، وصليل الحديد، ووهن الصوت بعد حين، حتى صار انينا مكتوما، ثم انقطع الضرب ونزل الرجل يلهث كالكلب فى الهجيرة، وطلعت الام تنهب درجات السلم، وصعد من خلفها بناتها، فوجدن الفتى ملقى على الارض العراء ، فاقد الوعى، والدم يكسو وجهه ورأسه، ويملأ عينيه واذنيه ويتسرب على عنقه الى صدره، فانكبت الام عليه تبكى وتنوح بصوت عال، تندب فيه و «تعدد» وبكت الاخوات كأنما هن فى مأتم

وفى مساء ذلك اليوم اتاه اخوه بلوحه من المدرسة كما امره ابوه الا ان «حسن» لم يكن يعى شيئا مما يدور حوله؛ فقد عاودته الحمى، وبات من رجفتها فى ظلام

- ١٠ -

واصبح صباح الغد وفتح «حسن» عينيه لينظر الى ما حوله، وكأنما فوجىء بوجوده فى بيته؛ فقد ظل طول الليل يهذى بالقطار وجواز السفر. والتفتيش وحراس الحدود. لم يكن يعرف عن هذه الاشياء الا قليلا، لذلك لم يتمكن من اجتياز الحدود، فقبض عليه

ودخل ابوه، فقامت امه واخواته، والقى عليه خطبة مسهبة ملؤها الوعيد والتهديد، ان جاء مع المساء، ولم يجده حافظا لوحه ليمحوه غدا ! ثم انصرف الى عمله

وركعت أم الفتى تحت قدميه ترجوه ان يحفظ لوحه؛ حتى لا تتكرر المأساة، والتفت به اخواته يستعطفنه ان يشفق عليهن، ويرحم نفسه ، فقد كان يبخعهن الاسى عليه، وبدأت المخاوف تساور نفوسهن من سوء المصير! واطبق هو شفتيه، ورفع عينيه الى السماء وكأن دموعهن ليست الا رذاذا سيجف، وستمضى به الرياح

وانقضت الساعات الاخيرة من النهار، ووقف يرسف فى اغلاله، وينظر الى الشمس الغاربة من نافذة الحجرة، وهى تنزل فى الماء قليلا قليلا ونظر الى السماء، واذا اسراب من العصافير والخطاطيف تحلق عائدة

الى اوكانها تملا الفضاء تغريدا وصفيرا، ونقل عينيه الى السلاسل فى يديه، فقطرت عليها الدموع سخينة من عينيه، وقال لنفسه، ليته كان موجة من امواج هذا المحيط، او سحابة من هذه السحائب، تعبر الزمن ولا تستقر فى مكان ! وخنقته العبرات، فكف عن الانين .

وحمل الريح الى مسامعه صفير قطار المساء «اكسبريس ـ طنجة ـ فاس» فنسى ما حوله، واضطرمت الحسرة فى نفسه، وغلت مراجل الثورة بين جوانحه، فرفع كلتا يديه يضرب بهما الجدران ويصرخ : «يا رب ما هذا الظلم ؟ ! انك تظلمنى انك تظلمنى، كفى عذابا يا رب» وسمعت امه صراخ ابنها ووقع السلاسل على الجدار، فتفطرت كبدها ، وصعدت اليه فاحتضنته بين ذراعيها، وضمته الى صدرها، وملأت وجهه لثما وتقبيلا ودموعا، وهو بين ذراعيها يئن، ويتوجع ويتوسل بصوت خافت : «متى يا رب ! ؟ متى ذلك النصر الذى وعدت به عبادك المؤمنين؟ لم اعد احتمل، غفرانك ربى ـ اننى ضعيف»

ثم نظر الى امه وتكلف الابتسام، فاصفر وجهه، وشحب، وهو يهمس بها : «صبرا يا أماه لا تقتلى نفسك حزنا على، فانا ما زلت حيا لما امت بعد ، ان الله يمتحن عباده المؤمنين ليرى هل هم اهل لنصره ، وسأمر بالامتحان صابرا، وسأفوز بنصر الله ! »

وانخرطت هى فى نشيج متقطع، وقالت: «اى نصر يا بنى! ؟ ان اباك جاهل، ولن يتردد فى قتلك اذا لم ترضخ لاوامره، واى نصر بعد ان تموت؟! أية حياة ستطيب لى من بعدك يا حبيبى الغالى؟ ـ اظهر لابيك ما يريد ولك وراء ظهره ما تريد »

كلا يا أمى هذا يسمى نفاقا، والمنافقون فى الدرك الاسفل من النار، ان عذاب ابى اهون من عذاب الله يا أمى، أتفهمينني ؟ »

واذنت المغرب ومع شبح الظلام كان شبح ثان مخيف يجثم على البيت كله بكلكل حالك رهيب؛ كان شبح ابيه يبعث الهلع فى القلوب، وينشر الرعب فى النفوس، وكانت الام والاخوات قاعدات ينتظرن الموعد، وبودهن لو يكن فى حلم من الاحلام؛ أعصابهن متوترة، وقلوبهن واجفة، وقد ران الفزع عليهن، كأنما ينتظرن تنفيذ حكم الاعدام فيهن، او هجوم عدو متوحش عليهن، وكل نقرة على الباب مهما بلغت من الخفوت تحدث فى نفوسهن ضجيجا وانهيارا، وفى اعينهن جحوظا وزوغانا ؛ لقد كن يحسبنها جرة مفتاحه، وقعقعته فى إدارة المزلاج

وكان ما لا مفر منه؛ جاء الاب، ونظر اليه جميع من فى البيت نظراتهم الى الجلاد الذى لا تعرف الرحمة الى قلبه سبيلا، ووضع لبدته فى غرفته، ولوى حبلا على معصمه، وصعد السلم الى غرفة «حسن» وفتح الباب ودخل. ونظرة واحدة الى وجهه، كانت كافية ليعلم انه لا يزال على عناده وانه لم يقرأ لوحه طول النهار !

وبدأ الاب يتكلم، ولم يكن هذه المرة يلقى كلماته بأسلوبه الخطابى الجهير، بل كان خفيض الصوت، يتكلم، وفى صوته نبرة حنان ماكر مرير

ـ لم لم تحفظ لوحك يا بنى العزيز؟ كان امامك اليوم كله! تعاندنى يا ولدى ؟ يا ولد الحرام ! سنرى هل تستطيع معى بلوغ الشوط الاخير من عنادك !

وكان «حسن» لا يسمع شيئا مما يقوله ابوه، ولكنه كان يفهمه فهما جيدا دقيقا؛ فقد كان عقله الباطن يتولى الترجمة فيما وراء الوعى، فتمر امام عينيه المعانى مرا خاطفا سريعا

وتقزمت فى عينه صورة ابيه؛ حتى كأنما ينظر اليها فى قعر كأس ثم صغرت حتى عادت كأنها ذبابة ذات ظل مزدوج، رسمه ضوءان متقاطعان على رجاجة !

ووقع الحبل على رأسه وقفاه، وظهره وكتفيه بقسوة ووحشية وعزم ان يصبر ويعانى ولا يصرخ، وربح الشوط الاول وقسا الضرب ، فبدأ يئن ثم يزفر، وخرجت من حلقه غرغرة مفزعة كمن يلفظ انفاسه ! ثم بدأ الصراخ، وقام شاهرا أغلاله فى وجه أبيه، ولكنها اشتبكت على ساقيه، فأعادته الى السجود ! وانكفأ على وجهه حتى لامست جبهته البلاط واصطدمت ركبتاه بالرخام، وردت الغرفة صدى الصدمة دويا ابكم عابسا كالظلم، ووقعت السياط على ظهره كله، وطرف من خاصرته ، تخط بلونها الازرق معالم الجريمة !

واكب المنكد على امه الارض، يضربها بالحديد الذى يرسف فيه ! ولما استبد به الخزى من ضعفه، عض على الطوق الحديدى المثبت على معصمه، وهو يهذى فى حالة «هستيرية» مخيفة : «الله الله الله يا لطيف يا لطيف يا حفيظ يا حفيظ» وعلى طرف لسانه بدأت تتردد الاغنية :

« تب لربك يالسكايرى واشرب غير أتاى
وادفع ثمن ما شربت للخمار معاى »

يرددها باسـرار وتكرار، وهو يذودها عن لسانه، ويطردها عنه ، ويحاول ان يصرف عقله عنها الى شيء آخر لا يكون سخرية من حاله ـ مثلها ـ لشيء آخر غيرهـا والسلام «تـب لربـك يالسكايرى» تعاوده النوبة، ويضطر الى التفكير بصوت مسموع ليفر من هذا الهراء الصريح، فيضرب حلقات الغل الذى فى يده بعضها ببعض لعلل صليل السلاسل يطرد عن رأسه اجراس تلك الاغنية العابثة الماجنة ! ولكنها ما تلبث ان تنبعث فى ذهنه من بين كل ذلـك مخمورة نشوى عربيدة، ولكنها اشد سخرية مما كانت عليه من قبل. ويلقى السلاح ويستسلم وتطغى الاغنية وتقف على المسرح وحدها ترقـص عارية، ولا يدرى اى شيطان تقمص روحها، ونزل بها فى صحراء نفسه، فاستولت اضواؤها الباهرة على ما وراءها ـ وتلح الاغنية ثم تتسلـل فجأة تحـت الظلام المطبق عليها، لقد ولد غيرها فى هذا العالم الذى لا يعيش فيه التوائم! العالم الذى يجتازه مخاليقه فردا فردا، والذى يستطيع منه المخلوق الواحد ان يولد ويموت، ثم ينشر فيقبر ثم يبعث فيعود الى الفناء !

وانتهت المحنة ونزل الرجل فملأ دلوين كبيرين بالماء، وصعـد الى غرفة «حسن»، فصبها على ارضها، زيادة فى التنكيل به، حتى يبيت الليلة واقفا على الرخام البارد؛ لعل ذلك يكسر من صلابة عزمه، ويفل من شوكة عناده، ووقف «حسن» حينما ملأ عليه الماء أرض الغرفة، وقـد خنقته العبرات، عبرات كما لو عصرت الحقد والعناد والنقمة على خديه، واحس فى صدره دويا هائلا كمـا تركض الخيل المولية الادبار، واصابه صداع شديد حتـى لم يعد يستطيع فتح عينيـه ! وقطع الصداع ما كان يتصاحب فى عقله من افكار ! واغلق عليه الباب بالمفتاح

ـ ١١ ـ

وبدأ الليل يزحف بجلابيبه السود ! حتى ملك ظلامه على المنافذ النـور .

وفى هدأة صامتة كانت تغرق فيها حواس «حسن» ترامت الى سمعه خشخشة شـيء يتسرب الى داخل الغرفة من تحت الباب، وانفاس آدمية تتردد سريعة. وخطا «حسن» نحوها، وهتف، وقد انتابه الذعر

ـ من ؟ من وراء الباب ؟

فأجابه صوت هامس :

ـ انا يا «حسن»! انا اخوك المختار، خذ علبة الكبريت التى تحت الباب بداخلها رسالة من «السى الوافى» وهو يريد الجواب عليها، فانحنى «حسن» فتحسس الارض، حتى وجد العلبة ففتحها، واخرج عود ثقاب أشعله، ثم تناول الرسالة، ففتحها وأخذ يقرأ :

«اخى حسن لقد فررت من حبسى هذه الليلة، وانى ذاهب الى طنجة، فان هناك عملا ينتظرنى بعيدا عن كل من يعرفنى، استطيع المكوث فى المدينة الى غد، فان ابى يبحث عنى فى كل مكان، وانا فى انتظار جوابك ـ والسلام. اخوك : (و) »

فقلب الورقة واستعان بالكبريت على كتابة هذه الكلمات :

«عزيزى الوافى، لا اظننى قادرا على ذلك اليوم، وسأحاول ما استطعت، فانتظرنى بالمحطة، فاذا جاء «السريع» ولم آت، فاعلم اننى لم أتمكن من الهروب، واذهب انت فى رعاية الله، وسألحق بك قريبا والسلام. اخوك : (ح) »

وتسلم الغلام الرسالة، وخرج ينهب الارض، وقعد «حسن» يفكر فى الحيلة! أية حيلة؟ لقد أجهد نفسه منذ طوقته السلاسل بالتفكير فى الخلاص !

وعاد اخوه الصغير يخبره بأنه سلم الرسالة الى الوافى يدا بيد ، ودون ان يراهما احد، وصمم الفتى على الفرار ولو كلفه ذلك الحياة !

وأذنت العشاء فانصت الى الاذان فى استغراق؛ فقد كانت المئذنة مشرفة على فناء البيت، وكأنما كان المؤذن يصب فى أذنه الاذان صبا! «الله اكبر لا له الا الله!» يطوف بها أركان المئذنة الاربعة فيخفت صوته ويعلو .

وسمع بعد قليل خرصة باب المسجد تطرق لتعلن لجيرانه من الباعة، والقاعدين ان الامام حضر، وان الصلاة تقام

وبعد الصلاة سمع وقع نعال المصلين على عتبة المسجد، ثم فعقعة الاقفال، وهى تقفل الباب، ووقع اقدام ابيه فى الزقاق الضيق المؤدى الى البيت، وسمع أباه يهدد ويتوعد من يحاول ان يهرب اليه شيئا من الطعام او الفراش؛ فلم يعبأ به، وكأن ذلك لم يكن يعنيه فى قليل او كثير

وانطفأ فى البيت آخر نور، وخفت الحركات حتى ماتت، وشمل السكون غرف البيت وابهاءه، فتحرك «حسن» فى موقفه نحو الباب وتحسس الرتاج الداخلى ففتحه، وجذب الغلو اليه فانفتح الباب كما لو كان رقاه بتعاويد من السحر! وسعى بحمل سلسلته يلقيها فى اطراف ثوبه حتى لا يفضحه رنينها، ووجد باب السطح مقفلا فولى عنه يبحث فى الزوايا، وأطل على الشارع من اقصر جدار، فوجد انه يزيد على ثلاثة امتار، وفكر قليلا، ثم مد يده الى حبال الغسيل ففكها من اعمدتها، واختبرها ، ثم صنع منها حبلا واحدا ربطه فى مسمار هناك، ودلاه الى الشارع ، ثم تدلى معلقا به حتى توسطه فأحس به ينقص بين يديه، فقد كان واهنا من كثرة تعرضه للشمس! وتخاذل حين احس انه فقد الامان، واربكته الاغلال التى جعلت ثقله مضاعفا، فأرخى الحبل ووثب الى عرض الطريق، فارتطم بالارض المرصوفة بالحجارة ارتطاما شديدا

ومن شدة الارتطام تمثل فى عينيه وهج ساطع أزرق، تسبح فيه نجوم عديدة الاشكال والالوان

وافاق من الصدمة على الم حاد يتسرب فى سائر عظامه، واخذ ذلك الالم يتقلص ويتراجع حتى استقر فى ساقه اليسرى وحاول تحريكها ، فوجد انه غير قادر على ذلك، وهم بالقيام على الساق السليمة وحدها ففشل، واعتمد على يديه، واخذ يزحف ليبتعد عن باب بيته حتى لا تقع عليه عين جار فيفتضح امره، وظل يزحف كالكسيح الى آخر الزقاق، وفاجأه عابر سبيل، فقعد وغطى رأسه «بقب» جلبابه، كمتسول ينتظر صدقة ومر كلب، فاقترب منه يشمه، الى ان بلغ بقع الدم الذى كان يفور من ساقه فتمسحها اطراف جلبابه، وأخذ يلعقها بلسانه فمد «حسن» يده ليطرده، فصلصلت السلاسل، واجفل الكلب

ولما خلت الطريق زحف «حسن» حتى كاد يلوي حول منعطف، فسمع قهقهات عالية، فعلم ان جماعة مقبلة من ذلك الشارع، فولى عنه حتى بلغ اطلال دار خربة هناك فدخلها، وقعد يستمع ويلهث وقد اجهده الزحف ومرت الجماعة امامه، وكانوا كلهم من اقرانه، يتوسطهم «ولد سيدى بن عيسى» وهم يتضاحكون

كان راحلا الى اسبانيا ليدرس هناك، وهو الآن يودع اصدقاءه ومدينته الصغيرة فى آخر ليلة له فى ارض الوطن

واختفت الجماعة، وبعدت قهقهاتهم حتى تلاشت فى صمت الليل .

ودخل «حسن» الخربة، التى كان يهاب دخولها فى النهار، لما كان يشاع عنها من انها «مسكونة» وان الجن تظهر فيها على اشكال بغال وحمير، وقردة

ولم يكن يسعه ان يبقى على اعتقاده ذاك، وهو فى حالته تلك، من الكرب والاسى، وقال فى نفسه : «لن تكون الجن اقسى على من الانسان!!» وتمنى لو يلتقى بأحدها

ودخل حتى تغلغل بين جدرانها وأعمدتها، فلم ير الا عيونا زرقاء نيرة، تلمع فى اركان الغرف المهدمة كاليراعات المفسرة؛ لا تدعو الى القلق؛ نها قطط ! واتكأ الى جدار، ثم اخذ طرف قميصه فاقتطع منه خرقة مستطيلة، ولفها على ساقه لفا جيدا، بالرغم مما عانى فى ذلك من ألم ممض

ونزف منه دم كثير واصابه دوار وغثيان، فانكفأ على وجهه كمن اصيب بطعنة فى ظهره، ونام غائبا عن الوجود

- ١٢ -

وانتبه على صوت نحيب خافت كأنما كان ينبعث من صدره هو. وبشىء من الجهد، استطاع ان يرفع رأسه لينظر الى مصدر الصوت ، فرأى امرأة بيضاء؛ فى ثياب بيضاء تخف اليه، وكانت عينه ما تزال مكحلة بالوهج الباهر الذى بات فى انسانها ؛ فلم يتبينها حتى اقتربت منه جدا وفاجأه ان يرى امه تدنو منه بوجهها، وسواقى الدموع تلمع على وجنتيها، وفى تلك اللحظة فقط، شعر بأنه فى غرفة، وفوق سرير وتذكر اباه، وما كان منه اليه، فحاول ان ينهض من مكانه، ولكن الما حادا اعاده اليه، واحس بسائر بدنه يرشح عرقا باردا كأنما كان يؤدى مجهودا جبارا

واستسلم للواقع حين سمع صوت امه، وهى تهدىء من روعه وتطمئنه

وظل ابوه حائرا ماذا يفعل ؟ لقد تحداه ابنه وخرج عن سلطانه ولن تسمح له نفسه أن يقتله لينقذ كرامته التى اشرفت على الانهيار ! ثم انه لا يريد ان يذهب الى طبيب «اجنبى» فماذا يفعل ؟ يترك ابنه حتى تتشوه ساقه فيضطر الى ركوب ما يكره من الامور .

وصادف ذلك اليوم ان زار خال «حسن» المدينة، فجاء لزيارة اخته وهو فقيه قروى على شيء من العلم والحصافة، جاور فى «مولاى ادريس» وتلقى الفقه والنحو على اساطينه؛ ممن يشار اليهم بالبنان فى «القرويين»

والتقى بأبى «حسن» فقص عليه هذا ما كان من امره مع ابنه

وتحدث الخال الى ابن اخته «حسن» ـ تلك الليلة ـ ثم اقترح على ابيه ان يأخذه هو الى قرية «تندافل» معه فان هناك رجلا خبيرا بأحوال الكسور والجبائر، ثم عرض عليه ان يتركه عنده فى «تندافل» ان كان غرضه منه ان يتعلم القرآن «والاوراق» فان فى تندافل «مسيدا» وفقيها لا بأس به، وطلابا يحملونه على التنافس !

واما «الاوراق» فهو ـ اى الخال ـ يعطى بعض الدروس، فى الفقه والنحو، وعلم الحساب؛ تفى بحاجة الفتى الى الاطلاع ثم اضاف :

ان الفتى لا يمكن بحالة من الاحوال ان يرجع الى «الجامع» وهو حليق الرأس، فان سخرية رفقائه على جانب ذى بال بالنسبة اليه ! ولا يحسن تقديرها رجال خلفوا سن الشباب منذ عهد بعيد؛ هذا هو السبب الفعلى فى عناد «حسن» وثورته وعصيانه! »

وكأنما انفتحت امام والد «حسن» اجواء وآفاق كان يجهلها فأكبر «نسيبه» ـ صهره ـ فى نفسه، وزادت ثقته بالعلم والعلماء، فوافق على كل مقترحاته بلا تردد، ولا استثناء !

وحمل الفتى الى «تندافل» اصيل ذلك اليوم، على محفة، وكان اليوم يوم خميس، وهو موعد عمارة السوق فى المدينة، ولحسن حظ «حسن» كان من المتسوقين عدد من فلاحى وحراثى تندافل؛ فتولوا هم حمل المحفة التى يرقد فيها «حسن» الى ان وصلوا الى بيت خاله .

وحضر الطبيب فى ذلك المساء، ولم ينم «حسن» الا بالجبيرة على ساقه محكومة الشد بالغة العناية والاتقان

ـ ١٣ ـ

ومضى على «حسن» فى بيت خاله بالقرية الجميلة «تندافل» نصف شهر ملأت فيه السعادة نفسه وعمرت اقطار قلبه، كان مصدر سعادته شعور بأنه بعيد عن بيئة العبودية، والجهل المركب الذى ليس له دواء وشعوره بالحب العميق الذى يضمره هؤلاء الناس السذج الذين يعيش

بينهم؛ صراحتهم، وبساطتهم تجعلانه ينقم على رياء بيئته القديمة وجهلها. والتأم كسر ساقه، واشتد، واذن له الطبيب فى القيام والفسحة فى فناء البيت بضع خطوات

واطل على القرية المشرفة على البحر فغمرته النشوة من جمال مناظرها، وروعة موقعها؛ فكان يقعد على مصطبة «نوالة» بحرية الواجهة، ويمضى يرمى ببصره الآفاق النائية، والتلال المترامية تنصب سفوحها انصبابا فجائيا فى دأماء المحيط، وأمواجه اللازوردية تلعق الساحل بألسنتها البيضاء المزبدة تنداح ثم تتقلص

وفى الاصيل كان يرقب السماء البديعة التلوين، والشمس وقد ضعف وهجها؛ فلا تحسر البصر ولا تخسئه، وهى تختفى قليلا قليلا فى شق بين السماء والماء. والفته الكلاب، فكانت تقضى جاثمة امامه وقتا طويلا .

كان يفكر طول ايام مرضه، فى المشروع الذى قدمه خاله فى شأن تعليمه فى «تندافل» وفكر فى المدينة، وما سيحرمه من متعها :

- «الاصدقاء ، الكرة ، السينما» وفكر انه يستطيع ان يستغنى عن السينما بقراءة «الف ليلة وليلة»، والروايات «البوليسية» ويجعل من رفاق «المسيد» اصدقاء يعلمهم لعب الكرة، والصيد فى مياه البحر

وبات يبنى آمالا واسعة فى أن يجعل من «تندافل» مدينته الثانية وارضه التى لا تهان لها فيها كرامة، ولا يتسلط عليه فيها احد، ثم فكر فى «الشعر» فرأى انه لا داعى له هنا فى مكان لا يعرفه اهله

- ١٤ -

وفى صباح يوم اصبح فى «المسيد» امام الفقيه، وبين جماعة من الطلبة فسلم على الفقيه، وحادثه قليلا، ثم جلس الى لوحه يقرأه

ولما عاد الى بيت خاله مساء ، كان يحس بعناء داخلى وتعب ذهنى كبير؛ من جراء ما تجسمت اعصابه من ارهاق فى حفظ اللوح، وعرضه على الفقيه حتى لا يظهر بمظهر غير لائق !

وقال لنفسه، وهو يتهيأ للمنام ! « ما أتعسنى ان كانت كل ايامى هنا ستمضى على هذه الوتيرة ! »

ومرت ايام واسابيع بدأ «حسن» يشعر فيها بالقلق ثم الفشل؛ فقد تغيرت نظرته تماما الى القرية عما كانت عليه من قبل، وتبين انه من العسير عليه ان يكيف هؤلاء الطلبة على ما يريد، واحس بالقنوط والضيق الشديد والحرمان والسجن، وصارت القرية شيئا عاديا مألوفا عنده؛ فلا جمال فى مناظرها، ولا روعة فى موقعها، ولا لين فى اهلها

وقضى على البقية الباقية من رضاه معاملة الفقيه الذى بدأت تقسو، بعد ما كانت لينة ناعمة؛ فقد «انذره» بعد باقتراب يوم «عرض السور» ـ اى تلاوة ما حفظ من القرآن بين يديه ـ . و «عرض الاسوار» عبارة عن عذاب مستمر؛ اذ يجلس الطالب الى الفقيه كل مساء بين المغرب والعشاء يقرأ، وكلما نسى كلمة او توقف عندها انهال عليه الفقيه بقضيبه ولم تكن تنتهى الا بعض اسابيع؛ تنهار خلالها اعصاب الطالب، ومعنوياته فانه يقضى اليوم كله فى ارتقاب المساء متوترا مضطربا، فلا يخرج من الامتحان الا وقد انهار كيانه المعنوى وضعفت قواه الارادية .

ولم يكن حسن يجد الثقة فى احد من الطلبة، فقد كانوا لا يصافونه، ولا يرافقونه الا بمقدار؛ لما وقر فى اذهانهم انه ابن المدينة، وابناء المدينة متكبرون مستغلون ، ولا يليق بقروى ان يعاشرهم؛ لانهم منافقون. ولم يكن هو يجد من يصطفيه من بينهم صديقا؛ للجهل المطبق بالمعالم والناس، وللبعد الشاسع بين التفكير والتفكير

وتظافرت عليه المصائب من كل جانب، وكان موعد عرض «الاسوار» يقترب اقترابا مزعجا، والطلبة ينظرون اليه مشفقين، ولا يثقون بقدرته على اجتياز ذلك الامتحان الجهنمى الذى لا يصبر عليه حتى اولئك الذين دبغ القضيب والحصير والشمس جلودهم. فما بالك «بحسن» الفتى المدنى الطرى اللحم الغض الاهاب الهش العظام، وكان ذلك مما يزيد الموقف فى نظره حرجا وفظاعة. وضاق حتى صار لا يطيق التفكير فى نفسه، وعزم على ان يستسلم لما سوف يأتى به القدر، ويتقدم للتجربة طائعا .

وجاء اليوم الموعود، وجلس «حسن» الاربعاء امام الفقيه، ولما لم يكن حافظا ما يعرضه كما يريد الفقيه، فقد ثار عليه الرجل وناله بما لا يطيقه من الضرب المبرح. ولم يستطع «حسن» على ذلك صبرا، فقام فى وجهه صارخا، واندهش الطلبة جميعا لهذه الفعلة، التى لم تقع مثلها قط منذ ان انشىء هذا «المسيد» وشده هو لهذه الجرأة من طالب خرع مثل «حسن» ان

يقوم فى وجه الفقيه محتجا، وفغر الفقيه فاه، وسقط القضيب من يده ، وخرت قواه المعنوية. واغتنم هو رد فعلتـه، فخرج مـن «المسيد» هاربا ونزل متوجها شطر المدينة

- ١٥ -

وارسل الفقيه من يخبر خاله بما فعل ابن اخته، فجاء الرجل على عجل، وامر الفقيه يرسل وراءه من يأتى به .

وخرجت جماعة من الطلبة الكبار ينهبون الارض بسيقانهم الطويلة الصلبة .

وكان «حسن» قد قطـع مسافة غير قصيـرة نحو المدينة، ولم يكن يغفل الالتفات الـى الـوراء والتطلع الـى ما سوف تطالعه به الطريق من مفـاجـآت

وكان ظلام الليل قد طمس معالم الطريق، فمضى «حسن» هائما على وجهه يضرب فى المسالك على غير هدى. وبعد ساعة من الجرى والعدو ـ لم يصل خلالها الى طريق السيارات العام ـ ادرك انه ضال عن سبيله وانه يخبط فى وجهته خبط اعمى ليس له دليل

فتوقف عن العدو واخذ يتلمس الطرقات لعله يهتدى الى ما يريد ، وترامت الى مسمعه اصوات آدمية، ووقع اقدام صلبة على الارض ؛ كان بغالا تركض آتية من بعيد

وبدأ يسمع ذلك بوضوح وبدأ نباح كلاب وحشى يقترب من مكانه، وهى تنساب نازلـة من المنحـدر الى قرار الوادى العميق ، فاضطرب وارتبك وضعفت اعصابـه، وهاجه هرير الكلاب ونباحها الوحشى يشق اليه الريح والظلام. وحاول ان يفر، وكأنما انغرست اقدامه فـى التراب فلم يستطع لها حراكا، وسمع وقع اقدام علـى اوراق يابسة، فوثب من موقفه خفيفا بكلتا قدميـه، وانتظر ان يقع على الارض فلم يصل اليها ! ! ووجد انه ما يزال يهـوى فى الفـراغ كما لو القى بنفسه من فوق بناية عالية. وكـان يحيط بـه فى مهواه ظلام كثيف يلفه لفا، ويملأ المكان من حوله، ولم يـدرك ماذا حل بـه الا حين غطس فـى ماء حتى غاب فيه ، وانغرست قدماه فى الطين الثقيل تحته، فادرك انه سقط فى بئر! وانه الآن تحت مائه غارقا فى طينه الى ركبيه ! وانحبست انفاسه، وهو يحاول

ان يقتلع ساقيه من الطيـن. وكلمـا اخرج رجلا غاصت الثانية اكثر مما كانت، فاختنق وهم بالصراخ، فكان صوته يخرج من حلقه غرغرة وفقاقيع تتصاعد الى سطح الماء ووقعت يده على شيء صعب فاستنجد به، فاذا هى صخرة من بناء البئر، فامسك بها وتثبت، ثم سل كلتا ساقيه، ودفع نفسه الى فوق، حتى طفى على وجه الماء يلهث، ويلهث فاغرا فاه كالكلب الظمآن، وبقى معتمدا على الصخرة حتى استرد روحه وملأ رئتيه بالهواء واحس ان الماء بارد مثلوج، وبدأ يشعر بالخدر يسرى فى اطرافه، وهم بالتحامل على نفسه، والصعود من البئـر، ولكنه سمع لهاثا فوقه، فرفع رأسه ينظر من دائرة البئر الى خارجه، فاذا السماء مشعشعة بالنجوم ، مثقبة بثقوبها اللماعة، كأنما هى دنانير تطل من فروج. واقترب اللهاث جدا، فأطـل رأس داخل البئـر، ثم رأس ثان ثم ثالث ومن اشكالها تبين انها رؤوس كلاب، كانت ألسنتها تتراقص بين اشداقها، ونبحت الكلاب داخل البئر حتى كاد يصمه دوى نباحها، وحتى كاد يفهم لغتها؛ اذ تقول لاربابها انزلوا اليه فخذوه! انه هنا فى قاع البئرواطل فى البئـر رؤوس آدمية ، وسمع كلاما وجدالا فأخفـت التنفـس، وأرهف أذنيه ليسترق السمع ، وفهم من الكلمات التى ترامت الى مسمعهانهم فقـدوا اثره تماما، وانهم مختلفون فى وجهتـه التـى قصدها، ورأى شيئا يتدلى فى البئر بحذر وتقية كأنما كان نازلا فى الفضاء فهبط قلبه، واحس بالهزيمة، وكاد يفقد اعصابه، ولكنه ظل صامتا يترقب. ونزل ذلـك الجسم فـى الماء فتقرقع وتنهـد «حسن» حيـن علـم ان دلو من صفيـح وظل الدلو طافيا فـوق الماء وصاحبه يرفعـه ثم يعود فيرخـى له الحبل، فيخبط الماء، ويرش عينى «حسن» المفتحتين، ويبقى فارغا طافيا كما كان، وتناول الحبل ثان غير الاول، فأخذ يخبط بالدلو وجه الماء ، فخشى حسن ان يصيبه سوء، فمد يده اليه، واغرقه حتى امتلأ فجذب الحبل ونزع الدلو، وندد الذى نزعها بجهل رفيقه، ثم مضـوا بعـد ان شربوا، وبقيت الكلاب تنبح بين الحين والحين، وعيونهم تحملق فى ظلام البئر

ولكنها تبعت اصحابها حين ابتعد هؤلاء واوغلوا فى الغابة .

وعاد الصمت يطبق على البئـر وما حولها، وهـدأت الاصوات، فلا تسمع الا ورقة تترنح فى الهواء ، او تتحكك بالارض ، او تتمسح بأختها وهم «حسن» بالصعود، فأحس ان جسمه ثقيل، وان جلبابه الصوفى قد شـرب حتى صار يعـادل وزن جسمه، فتعلـق بالحجارة، حتى خرج من

الماء الذى كاد يجمد دمه فى عروقه. وبدأ الماء ينصب من جلبابه انصبابا على سطح ماء البئر، فيحدث ضجة وصخبا، وانتظر «حسن» حتى خف مما كان يحمل، ثم توجه صعدا الى ان بلغ جرف البئر، ثم اطل برأسه بحذر، واجال طرفه فى كل ما حوله، ثم طلع، فما ان صار فوق الارض حتى اطلق ساقيه للريح فى اتجاه غير اتجاه الجماعة، لكى يبعد عن ذلك المكان، ويستطيع ان يبعث الدفء فى جسمه والحياة فى اطرافه التى نزح عنها الدم، وأحس بالتعب والالم فى ساقيه، والصداع فى رأسه

وبحث عن مكان يختفى فيه، وسار بضع خطوات ، فظهرت امامه أشباح كبيرة ضاربة برؤوسها فى عنان السماء ، واقترب منها فاذا هى ادواح عماليق من شجر «الدلم» الذى تنشر غاباته على قبيلة «السواحل» فأسرع الى دخولها، وتوغل فيها حتى بدأت تتعانق حواليه وتتكاثف ، وبينما هو يضع رجلا ويرفع اخرى اذ وقع نور ساطع على وجهه فأغشاه ، وسمع صوتا اجش يصيح فيه : « قف ! »

- ١٦ -

فتح عينيه ليرى من مستوقفه، فلم يبصر شيئا، فعاد الى اغماضهما وولى النور ظهره وانطفأ النور، فالتفت «حسن» ليرى من صاحبه؟ ورويدا رويدا استطاع ان يرى رجلا اروبيا يلبس سترة صوفية غربية التفصيل يشدها من وسطه بحزام من نفس الثوب، وعلى رأسه قبعة من القش الخفيف، ركزت فى شريطها الاسود ريشة نعام وله شارب ، وبين اضراسه غليون خشبى فى فرنه جمرة حمراء تتوهج، وكان يلبس حذاء طويلا يغطى سائر ساقه، وهو من الجلد الطبيعى، ليس عليه طلاء وفى يمينه بندقية ركب ظهرها فنار كهربائى فضى اللون ، وخاطبه الرجل بلغة عربية ركيكة، كان يرطن فيها بلسانه الانجليزى المبلل !

- من اين اتيت ؟
- من هناك !
- من تندافل ؟
- نعم
- ما لثيابك مبللة ؟
- سقطت فى بئر

وضحك الانجليزى ثم قال :

ـ لا بد انك تعانى قفقفة البرد تعال معى الى خيمتى

وامتنع حسن اول الامر، ولكن الرجل الح عليه، فتبعه على مضض واقبلا على نار تضطرم امام خيمته القائمة العماد، الضاربة الاطناب، ودخل الرجل فأخرج معطفا صوفيا من حقيبته، ونادى «حسن» فدخل اليه فمد له المعطف قائلا :

«اخلع ملابسك لننشفها على النار، والبس هذا»

وخلع حسن كل ما كان يلبسه، ثم لبس المعطف وقفل ازراره، واخرج ثيابه ليعرضها على النار، واخرج له الانجليزى علبا من محفوظ السردين، واللحم، والفواكه والمربيات، والخبز؛ فأكل حتى امتلأ ، واستشعر الدفء والراحة، فمال برأسه الى النوم

ولم يستغرق فى نعاسه تماما؛ فقد سمع بعد دقائق صوت الانجليزى عاليا، ففتح عينيه، فاذا اربعة وجوه يقع عليها ضوء النار الاحمر، وهى واقفة صفا امام الخيمة، وعرف «حسن» من هم، فطارت من رأسه نشوة وعادت اعصابه الى توتر واضطراب وكانت اصابعهم تشير اليه .

ـ نريد هذاك !

ـ لماذا ؟ أهو منكم ؟

ـ نعم، لقد هرب من «الجامع» ونحن نبحث عنه من أول الليل

ـ انه ضيفى ولن اسلمه لكم

ـ اذا لم تسلمه اخذناه قسرا !

سأضطر الى استعمال هذا (ورفع البندقية فى وجوههم) وخاف «حسن» ان تسوء العاقبة، فقام من مكانه ووقف الى جانب الرجل وقال :

ـ شكرا لك يا سيدى سأذهب معهم، فلا داعى لهذا كله

ـ ألا يريدون بك شرا !

ـ لا يا سيدى انهم اهلى، وبيننا خلاف بسيط، سأسويه حالما ارجع .

ثم عاد الى الخيمة، فخلع المعطف، واعانه الرجل على ارتداء ملابسه، فمد «حسن» اليه يده، وصافحه بحرارة، ثم تقدم الى الاربعة فأحاطوا به، والتفت هو الى الانجليزى، فرفع هذا له يدا مضمومة الاصابع يقول له: «كن قويا شجاعا» فحياه «حسن» ثم غابت الجماعة بين الادغال المتشابكة، والادواح الفارغة .

- ١٧ -

وبلغت الجماعة «الدشر» وادخلوا «حسن» على الفقيه، وكانت العشاء اذنت وصليت، ولم يبق فى «الجامع» الا الفقيه، وخال «حسن»، ينتظر ان اوبة الطلبة

وامر خاله الفقيه ان يضربه فحملته الجماعة، واقبل الفقيه على رجليه بالقضيب حتى كاد يصهرهما

ثم كبلوه «بفلقة» من شريط غليظ مفتول من اربعة، وربطوا يديه وراءه، وتركوه هناك فى «الجامع» مع طالب غريب كان «يخنش» فى تنداقل - يأخذ «المعروف» من «الجماعة» وينام فى «المعمرة»، وفى غد بلغ الخبر الى والد حسن، فبعث الى خاله بتلك السلسلة التى كان يلقيها فى عنقه كلما سولت له نفسه ان يثور، وامره ان يعجل بالقائه فيها حتى لا يفر الفرار الاخير، وفكر الخال قبل ان يقدم على هذا العمل، فحمل السلسلة وتوجه الى الجامع ودخل على الطلبة وهم يقرأون، فسكتوا وتوجه بالكلام الى ابن اخته الذى كان قد صام عن الكلام منذ ان قبض عليه، وجىء به.

وحاول جهد مستطاعه ان يكلمه، فلم يفلح وذهبت كل محاولاته هدرا

واخيرا رمى السلسلة امام الفقيه قائلا : «القه فى هذه السلسلة ما دام صامتا لا يقرأ ولا يتكلم، فاذا عاد الى رشده، وعدل عن هذه الحماقات، ورغب فى الخروج من الاغلال، فليقسم على المصحف الا يهرب ولا يحاول ان ياتى بشر، فاذا فعل فاطلق سراحه، فوعد الحر دين عليه، وسيظل هنا فى «المعمرة» حتى يتوب

ثم انصرف من حيث جاء

وقضى الفقيه، والطلبة اياما يريدون ان يقنعوا «حسن» بالعدول عن عناده، حتى يتمتع بقسط من الراحة، ولكنه كان لا يجيب كأنه لا يسمع

- ١٨ -

وفى مساء يومه الثانى حينما اطلق طلبته، وكان اليوم يوم اربعاء ، فاجأته فتاة تحمل اليه بعض فواكه الخريف، ودخلت اليه «المعمرة» وهو واقف يطل من كوة فى الجدار على البحر، ولم ينتبه لوجودها ؛ لما كان غارقا فيه من احلام وتأملات، وتنحنحت الفتاة تلنبهه لوجودها، والتفت

فرآها واقفة تنظر اليه، وتسمرت عيناه فى عينيها وظل شاخصا ببصره اليها كالمأخوذ

وكانت غلامة فى الرابعة عشرة قد فاضت انوثتها فيضانا ملحوظا ، وكان وجهها من ذلك النوع الذى لا يشبع من النظر اليه؛ جبينها العريض الواسع الناصع، وعيناها الواسعتان بياض ناصع فى سواد قاتم، وانفها الاشم المارن، وشفتاها المنفرجتان دائما الظامئتان دائما الملتهبتان دائما، وصدرها الناهد نهودا ملحوظا حتى لتخاف على قوامها ان يفسده! لولا ردفها الوازن، الذى يجعل من مجموعها تمثالا متناسق الاجزاء ، عبقرى الصنعة، سحرى الحركات

ونظر اليها «حسن» طويلا، واخذ يسأل نفسه متعجبا: «كيف لم ير هذه الفتاة من قبل، او كيف لم تلتفت نظره ان كان قد رآها من قبل ، وعلا الضجيج فى فكره، فلم يعد يحسن التقدير والتفكير قال لها : من انت ؟

ـ انا خديجة

ـ بنت من ؟

ـ بنت السى بن عيسى الغرابلى

ـ آ أنت اذن جارة خالى ؟

ـ نعم

ـ لماذا اتيت ؟

ـ اتيتك بشىء من «الخريف» البكرى

وتناول منها الطبق فولته ظهرها خارجة: «الى اين؟ الا تنتظرين حتى تأخذى الطبق ؟

ـ سأنتظر هنا تحت «التشريبة»

وفكر فى خديجة وهو يأكل؛ فكر فيها كثيرا، وعجب لنفسه، كيف الهته هذه المخلوقة فى بضع دقائق عما كان يبنى ويهدم من احلام، وما كان يرسم من خطط للمستقبل القريب

واتى على كل ما فى الطبق، ثم صفق لها بيده تصفيقا طغت عليه صلصلة السلاسل، ونادى : « ايه آهيا آنت اللاخديجة »

ـ نعم

ـ خذى الطبق

ودخلت الفتاة تمشى على استحياء ، وقد تضرجت وجناتها لانه ناداها بـ «للا خديجة» ! وفى «للآ» معان كثيرة شتى منها ما يريد به

التعبير عن الاعجاب بها، والاكبار لها، وربما «شيء» آخر لم تجرؤ على ان تصارح به نفسها ! !

اخذت الطبق منه، فقال لها بصوت ذى رنة عذبة !

ـ كثر خيرك، بارك الله فيك

فقالت وهى على عتبة الباب :

ـ بلا جميل

وانطلقت تعدو

ـ ١٩ ـ

وتكررت مثل هذه الزيارات، فكانت تحمل اليه الفطور والغذاء والعشاء، لان بيت خاله لم يكن فيه صغار، فكانت هى تتطوع بالخدمة

وازداد تفكير «حسن» فيها يوما بعد يوم حتى لا يبصر الا خيالها، ولا يسمع الا صوتها، ويبدو ان ذلك القلب الذى كان يملأه الحقد والكراهية، والنقمة والمقت، والثورة، والعناد قد صدى من فساد ما يحمل، فعاد يبحث عن نقيضه من الحب والجمال لذات الشباب، ومتع الحياة حتى يستطيع ان يريح صدره المكدود، وحتى يستجم ويستعد لكراهية اعنف ! وحقد اشد مرارة ! وتكون له هذه الاستجمامة، وهذا الجموح الخيالى زادا فى جهاده المقبل

واحبته هى اشد الحب واعنفه ولكنها لم تكن تبوح له بمكنون صدرها، ولا كان هو يبوح لها بمكنون صدره ! الا انهما كانا يحسان ذلك احساسا قويا اغناهما عن البوح والتصريح، الى ان كان يوم وكانت خديجة قاعدة امام حسن، تلاحظه وهو يأكل وظمىء، فمد يده الى كوز الماء ليشرب وكان الكوز بعيدا، والسلسلة قصيرة فلم تصل يده اليه ، فرفع عينيه اليها، وتقابلت نظراتهما، فرى الدموع تتلألأ على وجنتيها، وغلبه الدمع على امره، فبكى هو ايضا لا يدرى لماذا ؟ كأنما هى مجرد عدوى ليس له عليها سبيل ولكنه كان يحس بكد دفين فى صدره لا تطفئه الا الدموع

واقتربت منه حتى كادت تلمس بفمها خده، وهمست اليه : «لماذا لا نقسم لهم على هذا المصحف، لتصبح حرا، وتزيل هذه الاغلال التى تروعنى وتملأ نفسى سخطا ونقمة على الناس والحياة ؟ اننى لم اعد

اطيق النظر اليها الى السلاسل مجردة ! فما بالك وهى تطبق عليك كلك! وتجعلك فى شبه قفص! جاملهم، واعطهم ما يريدون ؛ يعطوك ما تريد

واطرق «حسن» يفكر، واصطرعت فى ذهنه الحقائق والاوهام ، وتداعت صور ماضيه فى مخيلته متشابهة مرة، متناقضة اخرى، ورأى انه مقدم على مجهول لا يرى ما وراءه وخانه حكمه على طبائع الاشياء، فلم يعد يحسن التدبير والتقدير وطال وجومه وسهومه

ووضعت خديجة يدها على كتفه وقالت :

ـ ماذا يا حسن ؟ ألم يهدك التفكير الى شىء ؟

واحست من نظرته المذعورة التى رماها بها، انه كان قد نسيها تماما، حين غرق فى ذلك الصراع الذى يصطخب فى اعماقه، وانها فاجأته حين وضعت عليه كفها وسألته سؤالها فانتشلته من اغوار سحيقة كانت تبتلع كل شعوره واحساسه ونظر الى وجهها نظرة صامتة بلهاء ، وتسربل العرق الذى كان ينضج به جبينه، فبلل العصابة الملفوفة على الجرح الذى فى جبينه، وقامت هى فأخذت الطبق وانصرفت صامتة .

وآلمه العرق المالح فى جرحه، فانصرف اليه يحكه، ويمسح عنه البلل .

وبات تلك الليلة أرقا ساهدا يقلب الامر على كل وجوهه، حتى استقر به القرار على امر بيت له العزم

ـ ٢٠ ـ

وفى فجر الغد، تقدم اليه الفقيه، ومد اليه يده ليفك وثاقه ، فأخرج الرجل المفتاح، ودسه فى اقفاله قفلا قفلا، واخرج منها، ورماها فى محراب الجامع، ثم اخرج المصحف، وقدمه اليه فقبله «حسن» ووضع عليه كفه، واقسم وباركه الفقيه وهنأه بابتسامة مشرقة، وهنأه الطلبة جميعا بنظراتهم السمحة الباسمة

وطلب هو لوحه، وانتحى جانبا وأقبل عليه يقرأه بهمة حتى آن اوان «المحو» فعرض اللوح احسن عرض، ومحاه، وكتبه، وهو يتعجل الزمن، ويستبطىء الساعات

وفى الظهر الاول، انطلق الطلبة، فخرج قاصدا بيت خاله

وكانت فرحة كل من فى البيت عظيمة، فأقبلوا عليه يهنئونه

وجاءت خديجه لتحمل اليه الغذاء ، فكاد السرور يخرجها عن طورها، ويفضح امرها امام الحاضرين؛ لقد وافق على اقتراحها اذن ! وتأكدت حينئذ من انه آثر حبها على كل ما كان يملأ رأسه من افكار فتضاعف حبها له

واغتنما غفلة الجماعة فتواعدا على اللقاء فى عين «التوتة» فى وقت الهجيرة، فاليوم يوم خميس وهو عطلة رسمية ينزل فيها الناس الى السوق ليبيعوا خضرهم، ويشتروا ما يحتاجون اليه من غاز وكبريت ، وضروريات لا غنى لهم عنها، ويبقى «الدشر» خاليا الا ممن ليس له ما يبيع ولا ما يشترى

وقبل ان يصل الموعد بساعات، كان «حسن» يهيىء له الاسباب

ووقعت عينه مصادفة على وجهه فى مرآة صغيرة معلقة على الجدار فأنكر وجهه، وكاد يصعقه منظره، وادرك انه قد كبر جدا كأنما تعدى العشرين والثلاثين؛ فقد كاد الشعر يكسو وجهه اسود غزيرا، وكانت الخدوش والجروح تغطى صفحة وجهه كلها؛ فاقشعر جلده وتعجب من خديجة كيف تطيق النظر اليه، فلم يعد يعرف من وجهه الا عينيه هاتين السوداوين العميقتين، فخرج مسرعا، وقصد الحانوت الوحيد الذى فى «الدشر» وكان عبارة عن صندوق كبير من الزنك له باب، وبداخله رفوف عليها بعض زجاجات العطر الرخيص كـ «ماورد» ـ «روح الزهر» ـ «ماء الزهر» وبعض الصابون، وامواس الحلاقة، وسأل «حسن» عن «ماكينة» حلاقة، فلم يجدها عنده، فاكتفى بشراء موسى وصابون، وعاد الى البيت، فأثبت الموسى فى شق قصبة، وحلق به لحيته فى كثير من العناء وانتهى من الحلاقة، وكأنما خرج من معركة بين وجهه والقطط ! ولكنه بعد ان غسل وجهه ونشفه، نظر اليه فى المرآة ، فأشاع وجهه الجديد فى نفسه كثيرا من الرضى والاطمئنان، وتسلل من البيت الى «عين التوتة» مستخفيا حتى لا تقع عليه عين احد

ـ ٢١ ـ

كانت «عين التوتة» عبارة عن بحيرة صغيرة عميقة يجرى ماؤها من خندق بين الاغراس والحدائق وتحفر منه الترع والمشارع، فتساق الى داخل الحقول لتروى المزروعات، وتملأ الاحواض. وحول العين غابة

متكاثفة متشابكة من «الدلم» و «العليـق» وانواع شتـى من المتسلقات وتظل العين شجرة توت ضخمة، وارفة الاغصان وريقة الفروع والافنان، تنشر ظلالها على حوض العين فتجعله بـاردا عليـل النسيم، رائقا حتى فى أشد الهجير من ايام السمائم

وبلغ العين، فوجدها باردة رقراقة صافية، يبدو الحصى فى قعرها تماما متألقا؛ فقد كانوا يجلبون اليها من الشاطىء حصى متعددة الاشكال والالوان، ليحفظ عليها النظـرة والصفاء . وبدا له أن يغتسل بدلا من أن ينتظر خديجة قاعدا؛ فخلع ثيابه الخفيفة ونزل فى العين، فوصـل ماؤها الى ما فوق صدره بقليل. وكان الماء باردا فأقرسه اول الامر ولكنه لم يلبث ان الفه فاخذ يدلك اعضاءه وسائر اطرافه، ولاحظ انه كان متسخا جدا كبعض خرق المطبخ؛ فقد انكدرت العين وشاع فى مائها طين دقيق اغبر.

وبينما هو منهمك فى غسل شعر رأسه ـ فقد كان بدأ يطول، ويغطى الحروق التى اوشكت ان تترك بقعا صلعاء فى رأسه لها منظر غير مقبول ـ اذ وقع علـى وجهـه رشاش من الماء ، فرفع عينيه لينظر من ؟ فاذا هى خديجة فقهقهت له قهقهة مكتومة حذرة، وابتسم لها وقال : اغتنمت فرصة انتظارك فنزلت اتبرد واعوم ريثما تصلين .

ثم غسل بقية اعضائه باقتضـاب، واشار اليها لتأتيه بملابسه ، فجاءته بها، وقال لها : «اغمضى عينيك» فأغمضتهما، وطلع هو من الماء فارتدى ثيابه حتى اذا انتهى، اقبل عليها بحذر واقترب منها جدا، وهى ما تزال مغمضة العينين تسأله :

«هل أفتح ؟» فيجيبها : « لا !» و «اياك ان تفعلى»

ووضع شفتيـه على شفتيهـا، ففتحت عينيها، واهتز كيانها، كأنما سرت رعدة عنيفة فى عظامها! قال لها: «ما لك يا خديجة ماذا جرى لك ؟ لقد انتفضت كأنما ارقت عليك دلوا من الماء البارد» ولكنها اطرقت ولم تجب، وتوردت وجنتاها، وبدت رائعة الحسن فى دلالها الفطرى الساذج وكانت تحس بحاجة شديدة الى الفرار من وجهه ، والعدو داخل الغابة ولكنه امسك بيدها وسـار بهـا وسط الغابة، يحدثها عما حدث له من احداث جسام فى هذه الاشهر الاخيرة وجعلت مجرى حياته يتغير تغيرا كلـيـا .

وكانا يسيران على طرقات تكسوها الاوراق الجافة بين نثار من الادواح الضاربة فى الفضاء ، تمنع اشعة الشمس ان تنفذ الى الارض وتجعل تلك الغابة وكرا هادئا يولد فيه الحب وينبث فى جوانبه الشعر، والسحر !

- ٢٢ -

وقبل ان توشك الشمس على الغرق فى مياه المحيط، افترقا على ميعاد، وقد ازداد تعلق كل منهما بصاحبه !

وقضى «حسن» بقية اليوم مرحا طروبا كالعصفور العربيد، فكان يركب «عودة» اصيلة لاهل خديجة وينطلق يعدو بها من رأس الجبل الى البطاح الواسعة المنتهية، برمل الشاطىء ، ويركضها على الرمال ويخوض بها اطراف الموج ، وهى تلاحظه من فوق الجبل سعيدة قد ملأ فارسها منها العينين والفؤاد !

وبعد ان تعشى القى بجسده المنهوك على الفراش فى «المعمرة» وشخص ببصره الى «سهم» السقف، وهام فى احلامه وامانيه

وكان يضيء المكان قنديل زيتى، وفى ركن «المعمرة» النائى كان الطالب الغريب يلتهم ما جيء له به من معروف فى شراهة ونهم، ودعا حسن الى مشاركته فاعتذر شاكرا وناوشه الحديث فأجابه بفتور فلم يعد الى الكلام ثانيا !

كان حسن يقرر فى نفسه امرا خطيرا لقد قرر ان هذا اليوم هو «اسعد ايام حياته» منذ عرف اللوح، شهدت بذلك كل جارحة من جوارحه، وهو يجمع امره على ان يجعل كل ايام مستقبله سعيدة كهذا اليوم ونام على هذا العهد الذى قطعه على نفسه فبات ليلة زاهية الالوان، تتدفق فيها الدماء الحارة ويخفق لها الفؤاد ! واتصل حبل اللقاء بين الحبيبين !

- ٢٣ -

كانت الايام توسع خطاها نحو الشتاء ، فقد كان فصل الخريف يحتضر، وفصل الشتاء تغزو طلائعه القمم والمرتفعات، ولم يعد اللقاء متاعا كاملا، فقد بدآ يواجهان مشكلة البرد والمطر وسوء احوال الجو

التى كانت تزداد كل يوم سوءا على سوء ، وبدآ يدبران مكانا آخر للقاء غير ذلك المخبأ بين اظلاف «الهندى» الشائكة التى كان القمر فيما مضى يلقى عليها اشعته السحرية، فيجعل من منظرها المضحك، منظرا شعريا رائعا، وهاتيك الاشجار العاريـة الفروع والاغصـان، حمل الريح كل ما كان يدثرها من اوراق الى ذلـك المنحدر المكسو بالاكواخ «والنواويل» حتى كأنما كان يرعشها البـرد اذا اقبل المساء فتأخذها رعدة من حمى وتصبح غارقة فى الندى اللؤلؤى المصفى، لم يعد يطيب لهما المقام تحت النجوم والغيوم. فأين يلتقيان ؟ او يغشى معها بيت خالتها اذا اظلم الليل، ونامت الارملة العجوز. وطـردت عنـه خديجة هذه الفكرة حين قالت له :

«انها لا تنام الا غرارا وفى القيلولة لا فى الليل» اذن فلابد مما ليس منه بد! لابد ان يحمل نفسه علـى قبـول الفكـرة التى كان يطردها من رأسه ! وهى أن تكون «المعمرة» وكر حبهما الجديد

وما رأى خديجة ؟ انها لا تخالفه فى شىء الا ما كان بين الخطر ، مخوف العاقبة. وافلح اخمـاد «صـوت» كان يملأ رأسه طنينا كان يسميه هو مع نفسه «الشعور بالاثم» ونسميه نحن «الضمير» !

وفى الليلة الاولى هيأ فراشه لها وتناوم «لعشيره» حتى تأكد من انه غرق فى سباته ثم تسلل على بنانه، وادخلها

وباتا ليلة ينعمان بظلام ابهر فى عيونهما من الاشعاع

وفى هزيع الليل الاخير، كان «حسن» يودع خديجة على باب دار خالتها، وانتظرها حتى دخلت، وانصت الى ما عسى ان تقول الخالة ان فطنت! ولكن الامر مر هادئا. ويظهر ان العجور كانت تتدرب على الموت فلم تشعر بدبيب الحياة .

ـ ٢٤ ـ

ومضت على هذا السنن الهادىء ايام كـان «حسن» فيهـا اسعد ما اظلته سقوف؛ فقد اعجب به الفقيه لما كان يبذله من جهد حميـد لحفظ لوحه و «اسواره»، حتى عاد الفقيه لا يحتاج معه الى قضيب

ولم يكن «حسن» يضايق الا «عشيـره» ـ شريكـه فى «المعمرة» بالليل اذ كان يحقد عليه، ويكيد له، و «حسن» لا يدرى لماذا ؟ حتى تبين له ذات يوم ـ وبعد ان ضاق به ذرعا! فهم بضربه ـ انه يكرهه، لانه يضيق

عليه فى «المعروف» !! فتعجب «حسن» من هذا الشره المبطان الذى يأكل تقريبا فى كل وجبة ما يكفى «حسن» يومين كاملين. ولما علم مبعث حقده تجاهله وتناساه، ولم يعد يأبه له ، كما لا يأبه الرجل لرأى حماره فيه !

ولم يزد «حسن» على ان تشدد فى الحرص على اخفاء مقدم خديجة ومنصرفها، والتأكد من نوم الرجل واغراقه التام فى النعاس

الى ان كانت ليلة، وخديجة ملتصقة بحسن فى فراشه الدافىء ، يدثرهما اللحاف الابيض والظلام الاسود؛ اذ احسا حركة فى الركن المقابل حيث ينام العشير ، وعلما من وقع اقدامه على الحصير انه خارج فتصنع «حسن» الغطيط والاستغراق فى النوم حتى خرج . وطمأنها «حسن» بأن الطالب انما خرج لقضاء حاجة كما يفعل احيانا ، ولكنه تأخر ـ هذه المرة ـ كثيرا على خلاف عادته ومع ذلك فقد ظل «حسن» لا تساوره ريبة فى امره

وبعد حين شعر بباب المعمرة يقفل عليهما من الخارج

ونهض «حسن» من فراشه يلتمس حل هذا اللغز الذى بدأ يقلق باله؟ واخذ يدق الباب من الداخل ويحاول فتحه وينادى باسم الطالب فلا يسمع جوابا ! وسمع اعوادا تتقصف فوق «تشريبة» المعمرة، فأرهف سمعه، ولم يلبث أن أدرك سر تقصف الاعواد، وراعته الفكرة، فاستفظعها، واستهولها

انها النار !! لقد نشبت النار فى المعمرة ! انهم يريدون ان يحرقوهما حيين تحت حطام هذه «النوالة»

وبدأت ألسنة النار تغزو داخل النوالة وبدأ الخرق يتسع حتى عم السقف كله، وبدأت شعلة تتساقط داخل «الجامع» لتأخذ فى أكل الحصير والالواح، وتشبثت خديجة بحسن، ولكنها لم تلبث ان اغمى عليها ، فانطرحت على الارض كالجثة المسلوبة الروح ! ورش عليها ما كان فى الابريق من ماء، وتناول خشبة كبيرة كان يسند بها غلق الباب وانهال على جدار لم تصل اليه النار حتى احدث فيه صدعا يستطيع الخروج منه

وكان اهل «تندافل» قد تجمعوا وتداعوا لاطفاء النار، وغصت بهم احواش المعمرة وهم يملأون الدلاء ويرشونها على الجدران التى كان الماء لا يزيدها الا تأججا واستعارا. وحمل «حسن» خديجة بين ذراعيه وخرج بها من الصدع الذى شقه فى الجدار وتناولتها منه امرأة كانت

قريبة من المكـان. وبينما هـو يناولها اياهـا ، اذ بأخيها الاصغر يشق صفوف الواقفين بفأس فى يده ، حتى وصل الى حسن وهم ان يجهز به عليه، ولكن الواقفين تكاثروا عليه، ونزعوا منه الفأس، وهو يهذر بينهم، ويريد ان ينتزع منه نفسه، وادرك «حسن» خاله، فأسرع به الى البيت ، يمضى به فى مسالك خفية، حتى يكون فى نجوة عن اعين اخوة خديجة الى ان بلغ به البيت وامر زوجته ان تحرص على اخفائه عن كل عين ولا تدعه يخرج حتى يرى ما ذا تصل اليه الحالة من نتائج

- ٢٥ -

وبحث الاخوة الاربعـة - بعد انطفاء النار - عن الغريم الذى ولغ فى عرضهم، وسود وجوههم الى الابد؛ بحثوا عنه ليمحوا بدمه عن جباههم لطخة العار، ووصمة الهـوان! وتقاسمـوا بالله ليقتلنه أينما وجدوه، ولو دفعوا دماءهم جميعا بدل دمه هو وحده

واخبرت القابلة ان الفتاة ما زالت عذراء ، لم يمسسها سوء !

ورغبت ام الفتاة فى السلم، وآثرت أن تتحمـل الوصمـة على أن تضيع احد ابنائها على مذبحة الانتقام. وفاء الاب الى امرها وحذرا البنين بكل وسائل التحذير ، وحاولا اقناعهم بمنطقهما الفطرى السديد، ولكن الفتيان الاربعة كانت الغيرة تأكل قلوبهم ، وحمية الجاهلية تعميهم عن كل منطق، مهما بلغ من الحكمة والسداد

وحاصروا البيت، وتناوبوا الحراسة عليه، وطالبوا خال الفتى ان يسلمهم اياه، وابى الخال ان يفعـل، وهددوه بحرق زروعه، فأصر على موقفه، واكتفى بوضع حراسة قوية على حقوله؛ حتى لا يستطيعوا الوصول اليها وحل الموعد الذى ضربـوه له بحرق زروعه ، فنشبت بينهم وبين حراس الرجل معركة انتهت بجرح اربعة من الحراس جروحا خطيرة، وحرق ما يقرب من مرجعين كاملين ظلـت النار ترتع فيهما طول الليل واتهمـهم خال حسن «بالسيبة» وابلغهمـا ان جزاء «السياب» عند المخزن الصلب والحرق !

وتوترت اعصاب القرية، واتسعت رقعة الخلاف بين الرجل والفتيان وكانوا يقاتلون باستبسال واستماتة من اجل الكرامة الجريحة التى نذروا لارجاعها دماءهم، وكل ما يملكون !

وكانت اصداء المعارك تصل الى سمع حسن فيتألم، ويحس بثقل المسؤولية التى تحمل اوزارها خاله المسكين الذى يدافع عنه الآن بشجاعة واباء مسترخصا امواله فى سبيل الحفاظ عليه، وثقل على نفس «حسن» ما يلقاه من ضميره من تأنيب، وما يعذبه من ألم الشعور بالذنب، فاعتزم امرا، وازمع على تنفيذه بكل ما اوتى من مغامرة وحيلة، وشجعه على ذلك، ودفعه الى تنفيذه بسرعة ما سمعه من ان اخوة خديجة يهددون خاله بحرق بيته على من فيه ان لم يسلمهم حسن قبل شروق شمس الغد !

- ٢٦ -

وطوقوا البيت تلك الليلة تطويقا محكما، وباتت عيونهم على ابوابه من كل جهة، فقد كان يجلس اكبرهم على صخرة عالية تطل على فناء البيت الذى تملاه قطعان الاغنام والابقار والبهائم وعلى كتفه «خماسيته» التى كان يسميها العوراء ، لانها لا تخطىء ابدا .

وفى اسفل الوادى كان اثنان فى يد كل منهما شاقور وكان الرابع يدور حول البيت يتسقط الاخبار

وباتت القرية ساهرة أرقة طول تلك الليلة، والنيران تضطرم فى الكوانين، وشيوخ القرية يتآمرون ليجعلوا لهذه «السيبة» حدا ويجدوا للمشكلة حدا، حتى اذا ما قرروا شيئا اختلفوا فيه، وتقهقروا عودا على بدء فلم ينفذوا شيئا

وبدأت الديوك تتصايح معلنة نهاية عمر الليل، وقرب مولد الصباح، واذن الفجر، وانصرف الشيوخ عن مؤتمرهم الى الصلاة

واطل النسوة من بيوتهن، يرقبن المشرق المجلل بالظلام وفى قلوبهن رهبة، وفى اكبادهن رعشة، وبدأ الافق الشرقى يحمر حمرة قاتمة، وبدأت الحمرة تصفو قليلا قليلا، والقتام ينسل منها، كما ينسل الدخان من لهب النار .

وفجأة لاحظ الناس اضطرابا على البيت المحروس، فعزوا ذلك الى القلق الذى ساده من قرب الموعد، ولكنهم فوجئوا جميعا حين خرج الرجل معلنا ان ابن أخته حسن قد هرب، هرب دون ان يعلم احد الى اين مضى، وكاد الفتيان الاربعة يصعقون للنبأ، وكذبوه وطلبوا ان يدخلوا

لتفتيش البيت، فلم يمانع الرجل فى ادخالهم، واحترم غضبهم حين تحققوا من صدق النبأ واتهموه بتهريبه، فأقسم لهم بأنه ما فعل، وانه لو كان يعلم امكان ذلك لما تردد فيه

- ٢٧ -

وتفرق الاربعة على الطرقات والمسالك المعروفة والخفية .

وقصد كل واحد منهم الوجهة التى اختيرت له، وبقيت القرية كلها «علامة استفهام» طول غيبة الاربعة؛ حتى عادوا واحدا واحدا يجرون اقدام الخيبة .

واقسم كبيرهم: لينتقمن لكرامته الجريحة، وعرضه المكلوم ، ولو اضطره ذلك الى الاغتراب طول حياته، وفشل ابوه فى ارجاعه عن عزمه فترك القرية، وهام على وجهه فى البلاد متنقلا بين المدائن والقرى يبحث وينقب، حتى شارف حدود «السوس الاقصى» وعاد الى الشمال حاملا كمده، القاتل، وخيبته المريرة !

وكانت الحرب الاهلية قد نشبت فى اسبانيا، فانضم الى الجيش، فى ساعة من ساعات يأسه، وتدرب على حمل السلاح، واطلاق النار ، ومن هناك حمل الى اسبانيا فورا حيث لقى حتفه فى معركة بالسلاح الابيض على ضواحى مدريد

وهز ابوه رأسه حين سمع النبأ من مكبر الصوت المعلق فى ساحة اسبانيا بالعرائش، ولم يزد على أن نظر الى النسوة اللاتى يبكين حوله، واخرج منديله الاحمر، فأفرغ فيه انفه، ومضى لا يعرف احد الى اين واستمر المذيع فى سرد الاسماء ...

- ٢٨ -

اما حسن فقد اصبح بعد اسبوع من اختفائه فى طنجة ! مع صديقه «السى الوافى» الذى كان قد سبقه اليها من قبل، وتوسط له هذا عند صاحب معمل السيارات، فقبله الرجل لما لمس فيه من ذكاء وفطنة وصار حسن عاملا لا يحمل من ماضيه الا ذكرياته الاليمة

ومرت ايام وشهور لم يعد يعلم فيها عن اهله، ولا عن «تندافل» شيئا ووجد فى طنجة آفاقا فسيحة جديدة ، هيأت لطموحه تربة صالحة ينمو فيها ويترعرع، وبدأ يتلقى مبادىء الانجليزية الى جانب ما عنده من اسبانية، ولبس «الكسوة الرومية» بدل الجلباب وترك شاربه يطول، وكان كلما هم بالخروج للنزهة، لبس طاقية افرنجية ونظارة سوداء، ليتنكر لمن يأتى الى طنجة من اهل بلده

ولم يعد يذكر جيدا الا تلك الليلة الليلاء التى هرب فيها من محاصريه وكيف خرق جدار بيت خاله، ونزل فى مجرى الغدير المثلوج، وزحف وسط العليق الشائك حتى جاز منطقة الخطر

ونزل الى الطريق العام، وتراءت له اضواء المدينة، وقد ورمت قدماه، وكاد التعب يقتله، ودخل المدينة من ضواحيها الشرقية، واخترق احياء «مرج بوطيب» ونبحته الكلاب فأرهقت اعصابه ارهاقا شديدا وبات تلك الليلة فى «المصلى» وقضى اليوم مختبئا فيه حتى اظلم الليل فتسلل خارجا الى طريق طنجة، ومنه حمله سائق سيارة نقل بدون اجر الى «حجر النحل» وعبر الحدود مع مهربى الزيت، واخيرا التقى بصديقه القديم فبدأ حياته الجديدة الحافة

وذات صباح، والاثنان ـ حسن والوافى ـ داخلان الى العمل، اذ استوقفهما احد العمال، وقال للوافى :

ـ البارحة عقب خروجك بدقائق، جاءت امرأة تسأل عنك

ـ كيف كانت جميلة ؟

ـ ما ذا تقول ؟ ! عجوز فى الغابرين !

ـ عجوز ؟ من تكون ؟

ـ لم أسألها، كل ما قالته هو انها تعرفك وانها تحمل اليك «امانة» فأعطيتها عنوانك، وانصرف العامل وبقى حسن يتساءل ، وحسن ينتظر النتيجة واخيرا سأله :

ـ ألا تعرف امرأة عجوز هنا فى طنجة ؟

ـ من اين؟ وهل عرفت الشبان حتى اعرف العجائز ؟ ان معارفى هنا لا يتجاوزون عدد اصابع اليد الواحدة

فقال حسن ساخرا : «أو لا يكون لهذه العجوز من تلك اليد اصبع» فضحكا، ثم انصرفا الى العمل

وكانت صدفة عجيبة يوم وقف احد الانجليز بسيارته على باب المعمل ليغير احدى شموع الاحتراق فى تحركها، وعرفه حسن انه هو نفس الرجل الذى كان فى الغابة ليلة سقوطه فى البئر وهو الذى آواه وأدفأه حين كاد البرد يقتله ! وتطوع حسن بخدمته ولم يلبث الانجليزى ان عرفه، فسر سرورا كبيرا وبدآ يتحدثان كأنهما صديقان قديمان

واعجب الرجل بحسن ونشاطه وحيويته ايما اعجاب ! واراد ان يعرف عنه اكثر، حتى أنه حين هم بالانصراف أعطاه عنوان الفندق الذى ينزل به وعين له الساعة التى يأتى فيها لزيارته، واسر اليه انه سيحدثه فى امر حيوى بالنسبة اليه

ولبى حسن الدعوة، واجتمع بالرجل، وقضى معه المساء كله ، يتجولان فى شوارع طنجة وملاهيها

وعاد حسن فى منتصف الليل الى الغرفة التى يسكنها هو وصديقه الوافى، وفى رأسه هرج ومرج وصخب وضوضاء

لقد كان المشروع الذى عرضه الانجليزى بالغ الخطورة عظيم الاهمية، وخلع ملابسه، واضطجع فى فراشه، وجاء الوافى فاندس الى جانبه، فقد كانا شريكين فى الغطاء ولاحظ الوافى قلق صديقه فمال اليه يسأله :

«حسن ما اصابك ؟ »

ـ لا شىء هل لاحظت علي شيئا غير مألوف ؟

ـ اننى اكاد اسمع دقات قلبك

ـ لعل ذلك لاننى أتيت اوسع خطاى واكتم انفاسى

ـ وفيم كل ذلك؟ ماذا جرى يا حسن؟ هل رآك احد من أهلك ؟

ـ كلا ! أبدا لا تقلق علي، فليس هناك خطر مطلقا

ـ الحمد لله واذن، فعلام كل هذا ؟

ـ ما ذا تعنى ؟

ـ هذا الركض الذى اسمعه بين جوانحك هل هناك انثى ؟

ـ يا سخيف !

ـ وهل فى الدنيا ما يستحق ان تخفق له القلوب ؟

ـ نعم

ـ نعم ، فما هو اذن ؟

ـ أريد أن أسألك اولا «ما رأيك فى امريكا؟ »

ـ أمريكا ! امريكا ؟ أى رأى تريد ؟ أعنى أى ناحية تهمك ؟

ـ هل تحب ان تذهب الى امريكا ؟

ـ احب ؟ اننى أتمنى لو أستطيع ذلك، لذهبت ازحف انها بلد المال والمجد، والفرص النادرة

ـ اذن لك ذلك !

ـ ما ذا تعنى ؟

ـ اعنى انك تستطيع ان تسافر الى امريكا، وتنال ما تتمناه !

ـ واين المال ؟

ـ دع تدبير ذلك لى انا

ـ دعنى انام فلا اريد ان يكون آخر ما اسمعه هذيانا

ـ لا والله، لست اهذى ولا امزح، وما عليك الا ان تقول نعم وانا اضمن لك بعد اسبوع ان تكون على ظهر الباخرة تعبر المحيط

ـ واستوى الوافى قاعدا، واخذ ينظر الى وجه حسن لعله يفهم ما يقول، وكأنما اقتنع بأن صديقه على حق فسأله :

ـ وكيف ذلك ؟

ـ ان حكومة البرازيل قد بدأت فى تنفيذ مشروع التعمير لاراضيها الشاسعة، وهى مستعدة ان تسفر كل من يرغب فى الذهاب الى هناك، وتكفل له العيش فى وطنه الجديد حتى يعود قادرا على كسب قوته بنفسه ! وليس لها من شروط الا ان تتجنس بجنسيتها ـ وبالطبع بعد التنازل على جنسيتك ـ خلال سنوات العقد الخمس؛ فاذا تم العقد، وطاب لك البقاء هناك فما عليك الا ان تجدده ، واذا لم يعجبك عدت الى وطنك وهناك شرط آخر، هو ان تتزوج هناك، فان عندهم فائضا من النساء

ـ ارى ان هذا جد لا مزاح

ـ فما رأيك اذن ؟ !

ـ لقد حيرنى الموضوع، من قال لك هذا ؟

ـ انه الانجليزى الذى رأيتنى اتحدث معه هذا الصباح

ـ ولكن الجنسية ! !

ـ وأية جنسية لنا نحن ؟ اننا نكرات لا يشعر بنا احد فى هذا العالم، ان وطننا قطعة ممزقة بين مخالب الاستعمار، لقد فكرت فى هذا طويلا، واخيرا وجدت ان ذهابى الى امريكا سيكون خدمة لبلادى، وقد

اعود بعد هذه السنوات الخمس وسأعود باذن الله ، فالزمن يطير واعود بمال او علم او تجربة انفع بها وطنى، واكون عضوا عاملا فى هيئة الدفاع عنه، اما ان بقينا على هذه الحالة، فثق انك ستموت كالذبابة مجهولا نكرة لا معنى لك عند احد، ان الباب امامنا الآن مفتوح على مصراعيه ولبس لنا الا ان نعزم ننفخ فى ايدينا، ونضع اقدامنا على الدرجة الاولى وحينئذ يسهل الطريق

ـ انك قد حيرتنى سأبيت الليلة ساهرا أفكر، يا عجبا ! قد تظل الامانى تداعب نفس الرجل حتى اذا انفتحت امامه ابوابها فجأة احجم عن اقتحامها، مخافة ان يلاقى منها ما يخيفه .

ـ سأتركك الى نفسك، ففكر فى الموضوع، واخبرنى بالنتيجة

ـ ٢٩ ـ

وفى المساء الاخير، قبل إبحار الباخرة بساعات، وقف حسن بعد ان أتم جمع حاجياته من حقيبة خشبية وبدا ينظر الى الوافى، وهذا مطرق ببصره الى الارض، وهو جالس على حافة السرير، وكفاه على خديه ، وقد كان يهده الصراع الهائل الذى يطوى عليه جوانحه

وكان صمت رهيب يملأ النفس هولا وجلس حسن الى جانبه ووضع يده على ظهره، فارتعد كأنما مسه طائف من الجن ! والتفت الى حسن ، ونظر اليه بعين زائغة

«هل انتهيت ؟»

ـ «نعم»

ـ «اعددت كل شىء»

ـ «كل شىء»

ـ ستتهمنى بالضعف يا حسن، اذا قلت لك اننى لم اصل بعد الى قرار

ـ ابدا اننى كنت دائما اتهمك برقة القلب ! هذا عيبك الوحيد عندى ومع ذلك، فهو فضيلة عند اغلب الناس

كان كلام حسن يصدر عن مرارة لا يستطيع خفوت صوته وأنى له ان يخفيه؟ وقال ـ وقد عجز عن كتمان ما يجيش به صدره من آلام ـ :

يا أخى الى متى نشقى بهذا الداء المزمن الذى يشدنا الى اللوح و «الصمصل» والحصير الحقير ؟ ينخر البرد القاسى فى عظامنا الفتية، ويجعلنا طعمة للامراض البشعة نقوم منها ضعافا لا امل لنا فى الحياة الا الراحة والقنوع، وحينئذ يلقون علينا تبعة اغلاطهم الفاحشة ، ويطالبوننا ان نكون غير من نحن ! يطالبوننا بحياة احسن، يريدوننا ان نأتيهم بشىء من لا شىء ! وهذا هو المستحيل، ويتهموننا اننا اتيناهم بالفقر! ولا يفهمون انهم هم الذين زرعوه، واننا جئنا الى الحياة ، وقد اخرج الزرع شطأه لنتغذى نحن من ثمره المر !

وتكلم الوافى وقد انتعش، وبدت فى صوته الحماسة

ـ اذا كان كذلك، فلمن سنترك هذا الوطن التعس، اذا هجرناه هكذا بعد ان ادركنا الداء ، أللمستعمرين ؟ اننا أمة، بالرغم انوفنا، كيفما كان، فهو اصلنا لا نستطيع منه فكاكا !

ما كان، فهو اصلنا لا نستطيع منه فكاكا !

ـ ماذا لقينا من هذا الوطن الجحود ؟ ـ قالها حسن ـ وقد استشاط ما ذا غير الظلم والاضطهاد والرق ؟ ما ذا غير النكران والعدوان ؟ اننى ما فكرت فى نقيصة وانانية الا وجدتها تمت وترعرعت فيه، الفقر والجهل والتعصب الاعمى والظلام الحالك المطبق ! لا يا صاحبى لن اعود ابدا الى السوط، والحبس والقيود

واعقب هذه الفورة صمت صاخب، وفى صوت هادىء التفت حسن الى صديقه وقال: «يا أخى الوافى افعل ما بدا لك فلن اجر القط على الحصير»

ـ لا تقس على يا حسن ان هذا ليس امرا هينا؛ انه تقرير مصير، وانا أريد ان أرى أمى، لقد اشتقت اليها ولم ارها منذ امد طويل، وقد بلغنى انها مريضة وستموت كمدا علي ان لم ترنى، سيقتلها الاسى ان علمت بأنى غادرت البلاد

ـ اذن عد الى امك، ودعنى فانى ذاهب الى أم أوام وارحم، أم هناك وراء المحيط، أسميها أمى الاولى، ويسميها العالم الحرية !

وحمل حقيبته، وهم بمغادرة البيت، ولكن الوافى انفجر باكيا فتوقف حسن، وقد اخذته الرحمة بضعف صديقه، فتقدم اليه، وانحنى عليه بلطف بالغ، وطوقه بذراعيه وقبله على خده، وهو يهمس فى اذنه : «لا تضعف يا أخى فوالله لو وجدت ثغرة ضعف واحدة فى ايمانى الذى

انا مقدم به على هذه المغامرة، لاحجمت وبقيت الى جانبك ولكنى ادعوك مخلصا ان تنبذ الضعف، وتفكر فى الموضوع بهدوء اننى ذاهب الى المرسى فالحق بى هناك متى ما غيرت رأيك

ثم غادر البيت، وفى حلقه غصة حامية

- ٣٠ -

خرج حسن يحمل حقيبته، وسار على طول الدرب مخلفا وراءه البيت والصديق، وما كاد يخرج الى الطريق العام حتى لمح والد الوافى آتيا نحو البيت تتقدمه امرأة عجوز ويتبعه رجل عملاق ضخم، يعمل مخزنيا فى الباشوية يسميه الناس لضخامته وخشونة مظهره «العربى الشاط» - واندس حسن خلف سيارة واقفة، واخذ يرقب الثلاثة متألما لضياع الامل فى انقاذ الوافى ومر الثلاثة تحت انفه، والعربى الشاط يسوى طربوشه الاحمر المدبب الرأس، ويبزق يمينا وشمالا وقد ادخل يدا فى كمه، واخرجها من فتحة جيبه، وانحنى قليلا ليتساوى بالناس ، وتسمر حسن فى مكانه وكأنما نشف الدم من عروقه، ولكن الرجل مر دون ان يلتفت اليه، وبعد لحظة الحرج المخرج عن الطور، استطاع حسن ان يسترد عقله، ويدرك انه فى زيه الجديد متغير تماما عن مظهره المألوف عند والد الوافى ، ووجدت الطمأنينة بابا واسعا الى قلبه ، ووجد الجرأة عى مراقبة الرجل الذى كان ذاهبا الى البيت الذى خرج منه بعد ثوان

وانتظر حسن حتى بدت له الجماعة مقبلة من رأس الدرب، وبقى مختبئا خلف السيارة حتى مر والد الوافى قابضا على رسغ ابنه بيد فولاذية، اما يد الابن الاخرى فقد كانت مشدودة الى يد «المخازنى» بكبل من صلب لماع، وقد بدا عليه الاستسلام الذى نراه فى عيون المجانين ، وتبعهم «حسن» حتى دخلوا المحطة فلم يجرؤ على دخولها

ولم ينس الوافى وهو يصعد القطار ان يلتفت نحو الديار التى آوته، وكفلت له السعادة والهناء ردحا من الزمان، وقد فاضت عيناه وهو يهمس لها كافرا بالحياة

«وداعا ايتها الحرية !»

وتحرك القطار ومضى يحمل هذا العصفور البرىء الى ارض الجريمة !

- ٣١ -

وفى أصيل ذلك اليوم، كان حسن يقف على ظهر باخرة ضخمة شامخة العرنين، تسودها الحركة والنشاط، وزوارق المتاجرين بالتحف تسبح حولها كالنمال، وقد علت صفحة الماء الصقيلة حمرة الشفق، تعكس الوانها على وجنات الحسان. وكانت نسبة الجمال بين ركاب الباخرة مرتفة جدا، وخصوصا بين الاطفال والنساء ، وكان الجميع يشعرون بأنهم منذ ان وضعوا اقدامهم على ظهر هذه الباخرة قد اصبحوا اسرة واحدة؛ فلا داعى للتكلف، وبدأت الباخرة ترفع مراسيها الضخمة من الماء ، وقد نزل قريص الشمس على حافة الافق الغربى فى مياه المحيط وبدأ الناقوس يدق من فوق برج القيادة

وانطلق بوق الباخرة يملأ الفضاء كخوار العجول

وصعد جوق الباخرة على ظهرها، وبدأ يعزف قطعة رائعة من الانجيل، وصحبتها بالترتيل اصوات المسافرين، ووقف الانجليزى الى جنب حسن ينشد الترنيمة، متأثرا، وهو ينظر الى السماء

ولم تلبث الباخرة كلها ان صارت جوقة ملائكية تملأ الفضاء روعة وجلالا، واحس حسن بالعبرات تترقرق من عينيه

ولم يشعر بالباخرة وهى تتحرك، الا بعد ان رأى خط الرغوة الدائرى الذى تركته وراءها والمعالم التى كانت ساكنة تتحرك من حوله والتى كانت قريبة تبتعد عنه

ورفع البحارة العلم الامريكى فملأه الهواء ، وبدأ يخفق ويرفرف على مؤخر السفينة المبحرة .

ونظر حسن الى معالم طنجة، وهى تبتعد عنه رويدا رويدا، وتحتجب عنه فى عتمة المساء ، وضباب المحيط ، ولم تلبث الدموع ان حجبت عنه كل ما كان يراه منها، فرفع يده بالتحية، ولم يزد على أن تمتم

«وداعا ايتها العبودية !»

وحملت الريح تحيته الى وطنه، مع انغام الموسيقى واصوات الملائكة .

وترددت اصداء النبأ فى اصيلا، وأظل بيت آل حسن شبح قاتم من الاسى والكمد، وجلست الام كاسفة هائمة، واحاطت بها بناتها يعزينها، ويكفكفن دموعها، فلا يزدن بذلك فى نفسها الا الحسرة والشجا، فتشرق بالدمع، وتنخرط فى نسيج يمزق الافئدة، ويثير الدفائن من الاحزان وسرت لعدوى الى البنات، فأخذت فى النحيب، وفاضت اعينهن وهن يشهقن نائحات وغامت عليهن سحابة ثقيلة من الاسى والضجر ، ولم يلبث البيت كله ان عاد الى مناحة شاملة تدعو اغلظ الناس اكبادا الى الشجو والنحيب

ودخل الاب قلقا مضطربا، لا يدرى ماذا اصابه، الا انه يحس احساسا غامضا بثقل جسيم على قلبه، وبغصة ملتهبة فى حلقه، وفى مدخل الدار ترامى الى سمعه صوت العويل رقيقا ساجيا فاقشعر جلده ، وانتفض بدنه، وسرت فى عظامه رعدة باردة كأنما هو مقبل على جثة تتقاذفها الامواج، او قبر لا يزال نديا طريا، وقفزت الى ذهنه شتى الخيالات والالوان، وازدحمت فى مخيلته الصور والافكار، وهو يخترق الدهليز الى وسط البيت، واتجه الى الغرفة التى ينبعث منها النحيب واجف القلب، خائفا يترقب، ووقف على العتبة ونظر يمينا ويسارا داخل الغرفة المعتمة، حيث كانت المرأة وبناتها قاعدات على الحصير، فلما أظل الباب شبح الرجل رفعن اليه عيونا محمرة يلمع فيها الدمع .

وهمهم الرجل : «ما هذا ؟ هل عندنا جنازة ؟ لا رحمه الله ! ليذهب حيث شاء، لقد سخا هو بنا، وتركنا «فلا رجعت ولا رجع الحمار» هل فكر هو فى بكائكن هذا ؟ هل يبكى هو لفراقكن ؟ كفى سخافة ـ قمن الى اعمالكن » !

ومضى الى غرفته وقد احس ان اوامره كانت فاترة ، وان صوته كانت تصحبه نبرة حزينة واضحة، وأحس بقطرة حامية تترقرق فى منخر انفه الايمن ، ولم تلبث عيناه ان فاضتا ، ولم يسعه ان يكابر او يصر على الانكار، فقد عاد العناد فى نظره سخرية من الحقيقة .

—Zohora, ¿qué es lo que quieres?... ¿Quieres la casa?

Zohora no pudo decir nada, pero afirmó con la cabeza.

—Le tienes cariño, ¿verdad? Le tienes cariño...

Zohora le miraba largamente. Luego recorrió con la vista desde el techo hasta la planta. Miró por la ventana al campo, y la mirada se le hundió en el maíz.

—Quiero que el niño se coma los granos.

—He vendido la casa por él. Es por él, dentro de su manta de colores, lavado con el agua de la mañana... Es por él.

—Es por él, Abdulaziz.

⁂

Las dos cosechas juntas empezaron a granarse. El niño, chorreante de rocío, llevaba sobre el pecho las espigas. Se tendió al sol y durmió, desdibujado, en la niebla de sus sueños. Abdulaziz y Zohora que todo lo contemplaban, se habían mirado las manos cansadas, trabajadas, en paz.

mejor, que hemos sembrado igualmente. Vendemos una cosecha para lograr plenamente la otra. Créeme, Zohora, la cosecha...

⁂

—¡Abdulaziz, Abdulaziz!

Zohora gemía sobre la estera. La vela, en el rincón, ponía sobre la pared un Abdulaziz fantasmagórico.

De pronto, Zohora se queda lenta, sin movimiento, respirando con la boca abierta y allí, aguardando el pequeño mundo del hijo con manchitas de barro y de sangre, Abdulaziz estrechó su rocío y el cheque de los mil duros. El rocío y el dinero. El hijo y el té, pintura naranja para la fachada. Hijo que no tendrá que labrar la tierra. Hijo bañado con el agua de la mañana. Hijo para siempre.

La primera cosecha estaba granada. Abdulaziz alzó el bulto sonrosado hacia el cielo y lo miró largamente. Zohora, desde el suelo, veía todo al revés. Al hijo inmenso y a Abdulaziz pequeñito, pero en medio de todos estaba allí la mirada de ambos. El perro, en la puerta, se buscaba intermitentemente la cola. Todo buscaba sus vueltas...

—Zohora, Zohora, ¿por qué me miras así?

Zohora se cubrió la cara con las manos.

En Beni Sidel había un ladrón de escarcha.

Cada mañana, Abdulaziz cortaba una a una las flores, llevando con cuidado el rocío. La botella de aquel líquido andaba ya por su cumplimiento. Era igual que si un pedazo de cristal se hubiese hecho agua de pronto y quedaran allí las rayas de colores, los misteriosos peces, el pequeño dios del frío, esperando la llegada del hijo de Abdulaziz. Zohora miraba siempre hacia el mar. Cada día pesaba más aquello; llamaba el pequeño desde abajo y Zohora sentía un dolor dulce que la hacía clavarse las uñas.

(Bueno, después de todo, es por el niño. Venderé... Sí, venderé todo esto. Podré verlo desde arriba, de Atlaten. Esto será negocio. La fachada de color naranja. Media docena de botijos para las mesas. Teteras, las bandejas doradas... No está mal...)

—¡Abdulaziz, Abdulaziz... ¿tú crees que no tendrás que arrepentirte?!

—Vendo la casa. Es mejor así. Tenemos que esperar al niño de la mejor manera.

—Pero, ¿y el maíz? ¿Y la cosecha?

—Venderemos la cosecha. Fíjate, Zohora, era nuestra primera cosecha. La que sembramos el año pasado, ¿te acuerdas?... Pero tenemos otra cosecha

Dejó a su hijo acostado sobre el suelo... Abdulaziz se puso pálido. Aquella postura no le vendría bien al niño. Tenía los dedos cerrados por la cera. Anduvo de puntillas. Sus pies descalzos se quedaron helados sobre la arena del piso. Abdulaziz se agachó. No respiraba para no mover el aire. Temblaba como un chiquillo, suspenso, débil, pequeñito ya, como un insecto que se posa en la frente. Cuidadosamente apoyó su oído en el vientre de Zohora. No escuchaba nada...

(Hijo, estoy aquí. Hace mucho frío. Te compré una manta de colores. La perra ha parido ya; el perrito de lunar será para ti. Te estoy cogiendo todo el rocío del campo para lavarte. Serás un niño muy hermoso...)

De súbito, en las entrañas, se estremeció algo. Había sido como un salto, como un latigazo o, quizás, como una pedrada en un charco. Cuando Abdulaziz se dio cuenta de aquel temblor del hijo, Zohora estaba abrazada a él, llorando de susto.

⁂

(Con los mil duros del maíz se hará negocio. Pintaría de naranja la pared del cafetín. Lo peor es la tierra y la casa. Todo esto lo hice yo. Aquí está todo. Podría subir luego a Atlaten y desde allí contemplar esta tierra... El cafetín es negocio. Pero la tierra...)

⁂

limpiaba siempre el anillo con la manga para verlo brillar. Aquello era su pequeño triunfo, hasta que Zohora le dijo un día que le traería un hijo.

***

Dejó la vela apoyada sobre la ventana y volcó el rocío de la flor en una botella. Casi nada llegó al fondo, eran sólo unas gotas. Pero mañana traería más, y así hasta llenarla. Su hijo saldría sucio de Zohora, con manchitas de barro y de sangre. Él siempre pensaba que el hijo nacería como una flor, cerrados los ojos, con las manos sujetas a la cabeza para protegerse. Lo limpiaría con aquel agua fría que cada mañana brillaba en los cálices y después, sobre aquel cáñamo trenzado, lo pondría a dormir. El hijo era igual que una almendra, como las que Zohora gustaba morder con una risa sofocante, cuando él la contemplaba.

(Seguramente el maíz le daría mil duros. Aquello era suficiente para comprar el cafetín. No estaba mal aquel sitio. Segangan era una renta con los soldados. Mil duros, pero bueno... la tierra se quedaría atrás para siempre. La casa se quedaría atrás para siempre. El negocio marcharía bien, pero, la tierra...)

Abdulaziz contuvo la respiración. Allá, en la estera, Zohora se había movido. Recostó la cabeza sobre el brazo y dejó su vientre descansando sobre el suelo.

Abdulaziz llevó con todo cuidado la flor hasta su casa. Había entrado con el mayor sigilo del mundo. Encendió una vela y se quedó mirando fijamente la pared. Sobre la estera, dormía Zohora. Abdulaziz la miró; su vientre redondo de alumbramiento lo cubrían sus pequeñas manos morenas. Abdulaziz la miró tan largamente como se contempla aquello que brilla más que el día. Allá en el vientre, dentro, remota, estaba su primera cosecha granada. Fuera, el maíz apretaba los granos también. Cuando pudieran desgranarse las espigas, él cubriría con aquella manta de colores a su hijo. Lo estaba viendo agitarse, como un pequeño pez. Le sentía en su nombre, llamándole desde el fondo del mundo. Luego, él volvería los ojos hacia el pasado y su hijo andaría bajo el sol, sembrando el maíz y dándoles la cosecha mejor en el corazón.

Zohora parecía no estar en el tiempo, sino más lejos todavía de aquella montaña alzada entre el mar y su casa. Zohora no se movía, así, con cuidado, para que la primera cosecha tuviera un fruto tan hermoso como aquella paz.

A Abdulaziz se le resbaló una gota de cera en el dedo quedándosele pegada en el anillo: una ficha de dominó que había ido horadando en su centro, después del trabajo, hasta que la dejó a la medida. Abdulaziz

LA PRIMERA COSECHA

En el Telat de Beni Sidel había un ladrón de rocío.

Abdulaziz se había quedado mirando el cuenco de aquella flor y, allá en el fondo, la helada pelusilla de la escarcha copió su rostro. Sintió unos enormes deseos de beberse aquella frescura, pero algo le contuvo.

—No, será mejor... Si lo limpiáramos con este agua...

Abdulaziz miró para las nubes. Era demasiado temprano para verlas felizmente bogando. Sonrió con gran ternura y arrancó cuidadosamente la flor. El perro le miraba desde atrás y comprendió que también le sonreía.

—Ven. Ven...

El perro entonces se le acercó rápido.

—¿Tú sabes para lo que es esto?

El perro lo sabía, como lo adivinaba la tierra, y la cal blanca de la casa, y el pozo y la yunta...

—Anda, ¡corre...!

LA PRIMERA COSECHA

(CUENTO)

Por MIGUEL FERNÁNDEZ

V

Porque el bosque es quizás tu corazón,
pueblo mío, aquí comprendo tu mensaje.
Duermo entre un cielo suspenso de frutos,
con el arado puesto a la diestra,
con una caña dulce entre los labios
mientras el valle comba la cebada
y ríos ocultos riegan la tierra.
Tu porvenir está en tus mismas raíces,
crece con ellas hasta besar los cedros más antiguos,
hasta pintar de cal blanca todas tus casas
y cuando descanses, mira hacia el bosque,
él es un corazón silencioso, con helechos
lleno de caracoles silvestres.
Con él se puebla el mundo de habitantes dorados,
quizás sea el sol, la nieve o los corzos veloces;
tú vive.
Dios bendice en la altura.

IV

Y es que la paz existe donde el hombre
tiene un sol en el pecho
y aquí quema los campos con su lumbre dorada
hasta hacer que el volcán sienta un hondo deseo
de germinar como una campanilla.
Y el hombre cuanto toca lo transforma
en un fuego cansado que es igual que el amor.
Y en la paz no se encuentran los hermanos
con la clara bandera de sonrisas
porque miran el cielo y éste es puro
y la tierra da el fruto sembrado en el otoño
y la casa reluce con la cal
y el hombre mira hacia adelante
y el horizonte es sólo el límite de su felicidad.

Si este hombre que mira nuestra mano extendida
sin ver en ella el deseo que aprendimos en su bosque,
es porque el sol abrasa su oscura geografía
y ese sol es la paz.

III

(Hombre del Rif)

Si este hombre que mira nuestro destino, igual
que la crecida del maíz, con su amor empujándole
hacia la entraña verde del paisaje,
sintiera nuestra mano con el mismo deseo
que hemos puesto en su bosque.
Si ahora que cada sol empuja las cosechas
sobre esta sed de ortigas acechándole
donde el Rif abre un mar de barrancos,
supiera que hemos visto llover la esperanza
sobre esta catedral de cedros imbatidos
como una profecía, como el pan amarillo
de Dios, y el pueblo, entre la paz,
entre el son de la costa, entre la sombra
más blanca de un Tidiguín de mármol
levantar su alegría, encenderse
en la pólvora agreste, con la fe
que ha puesto por la tierra del milagro...

Pero el hombre
que acepta nuestra mano como un rito
quizás nunca adivine nuestro empeño
que hemos visto en el sueño de este charco de nieve
mientras la niebla cuelga
del silencio impalpable de Bab-Chicar.

igual que mazorcas al sol, y tu voz se agiganta
por la pradera húmeda del eco.
Mirad, apretad bien los ojos
y entrad desnudos a este cántico agreste del helecho;
aquí nadie puede mentirnos su experiencia
porque mi pueblo siente su corazón como un bosque amarillo
cubierto de promesas, como un telar de colores
donde Dios inclina su cabeza para bendecirnos la tierra.

II

El bosque es lo que nunca adivinan los hombres.
Descubrid la cabeza cuando surja escondido,
mirad si su silencio es comparable al mar.
Sólo sé que descalzos se ha de pisar su césped
porque los muertos deben vigilar sus cenizas
y aquí el cedro levanta su reino porque nace
de algún héroe sepulto.

Si miráis para atrás veréis que los gamos os contemplan
con la docilidad de quien sabe que la muerte no existe.
Y si algo os extraña veréis que todo está en el pueblo
que otorga en su callada existencia
este trozo de tierra para entender la paz.
La verdad de esta entraña es que aquí se respira
como un corazón sobrecogido.
Nada os extrañe si los gamos se tienden a los pies.
Estamos ante Dios que es igual que el silencio.

HIMNO PARA EL BOSQUE DE BAB-CHICAR

I

Cuando mi pueblo canta, enseña sus secretos.
Ahí está su oculto diamante de sorpresa:
Mirad, el sigilo tiene su puerta en la tierra
orillada por el buey, por las piernas erguidas de los hombres.

Andad sobre esa palma con un cuenco de miel,
con las frutas goteantes y la mirada puesta en la nieve.
Esta puerta de Dios se abre a cada paso con el campo desnudo,
con la sencillez de un cáramo y las manos gastadas en la arcilla.
Mi pueblo que ofrece el trabajo y la arcilla como un don,
hoy nos abre el silencio de un bosque resonante.
Apretad bien los ojos.
Los cedros ponen música donde nadie respira,
donde las hachas hienden la resina y se encienden de púrpura olorosa,
donde el pastor descansa como un Dios de deseos,
donde niños descalzos cuelgan su alegría

HIMNO PARA EL BOSQUE DE BAB-CHICAR

(POESÍA)

Por MIGUEL FERNÁNDEZ

MIGUEL FERNÁNDEZ

*Nació en Melilla y en el año 1931. Sus primeros poemas vieron la luz en la revista "*MANANTIAL*", a cuyo lado se fue formando. Apenas iniciadas sus colaboraciones en otras revistas y cuando sólo contaba diecisiete años, obtuvo el primer accésit en un concurso nacional de poesía: el premio "Verbo", al que optó con un libro juvenil —"Vigilia"— que no fue publicado por su propio deseo. En 1952 fundó en Melilla la revista "*ALCÁNDARA*", ya desaparecida. En 1953 obtuvo otro premio nacional: el "Fray Junípero Serra". También ganó algunos de carácter local y menor relieve, aunque ni a éstos ni a los otros les da gran importancia. Desde 1954 codirige la colección de libros "*MIRTO Y LAUREL*" y forma parte del cuadro de guionistas de Radio Nacional de España. Colabora en numerosas revistas literarias, españolas y extranjeras, y ha hecho crítica de arte en la prensa diaria. De su labor callada y constante son fruto sus libros "Esta canción de lo inasible", "Credo de libertad" y "Balada del sencillo amor", el primero y el último próximos a publicarse en la colección "*MIRTO Y LAUREL*" y en la malagueña "*A QUIEN CONMIGO VA*", respectivamente. Actualmente es jefe de redacción de "Radio Juventud", de Melilla.*

3.º—El Jurado se complace en resaltar los méritos que concurren en otros trabajos, mereciendo Mención Honorífica la poesía titulada *«Canto a Marruecos»*, presentada bajo el lema «Sobre los campos de mi tierra». Abierta la plica correspondiente resultó ser de Francisco Salgueiro.

Y para que conste, firmamos la presente en Tetuán, a veintiuno de abril de mil novecientos cincuenta y cinco.—*Juan Martínez Ruiz. — Jacinto López Gorgé. — Dora Bacaicoa.*

ACTA del Jurado Calificador de los trabajos en idioma español:

Reunidos en la ciudad de Tetuán los miembros del Jurado Calificador del Concurso Literario «Premio Marruecos», de poesía, y «Premio Marruecos» para prosa (cuentos), convocados por la Delegación de Educación y Cultura de la Alta Comisaría de España en Marruecos, con motivo de la Fiesta del Libro Hispano-Arabe 1955, y después de examinar los trabajos presentados, acuerdan:

1.º—Conceder, por unanimidad, el «Premio Marruecos» de poesía a la que lleva por título «*Himno para el bosque de Bab-Chicar*», presentado bajo el lema «Pueblo deseado». Abierta la plica correspondiente a dicho trabajo, resultó ser original de Miguel Fernández.

2.º—Otorgar, por unanimidad, el «Premio Marruecos» para prosa al cuento titulado «*La primera cosecha*», presentado bajo el lema «Maíz». Abierta la plica correspondiente resultó ser también de Miguel Fernández.

IMPRENTA CREMADES. - MOHAMED TORRES, 17. - TETUAN

ALTA COMISARÍA DE ESPAÑA
EN MARRUECOS

DELEGACIÓN DE EDUCACIÓN
Y CULTURA

Premios "MARRUECOS" de Literatura, 1955

HIMNO PARA EL BOSQUE DE BAB-CHICAR
Poesía, por **Miguel Fernández**

LA PRIMERA COSECHA
Cuento, por **Miguel Fernández**

Premios "AL-MAGRIB" de Literatura, 1955

JOVENES DE LA ALQUERIA
Poesía, por **Muḥammad al-Ṭanŷāwī**

PIONEROS DE LO IGNOTO
Cuento, por **Aḥmad al-Baqqālī**

TETUÁN
INSTITUTO MULEY EL-HASAN
1955

PREMIOS

«MARRUECOS» Y «AL-MAGRIB»

DE LITERATURA, 1955

808.8:J41JA:v.2:c.1
تطوان. معهد مولاى الحسن
جوائز المغرب ومرويكوس للاداب ١٩
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01028414